جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

أثر السياق القرآني في بيان المجمل في القرآن الكريم

إعداد الدكتور

أحمد ماهر سعيد نصر
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

أثر السياق القرآني في بيان المجمل في القرآن الكريم

أحمد ماهر سعيد نصر.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالسادات، جامعة الأزهر، مصر
الإيميل الجامعي: ahmadnasr.adv@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يدور هذا البحث حول السياق القرآني وأثره في بيان المجمل في القرآن الكريم، ويهدف البحث إلى إبراز أسباب الإجمال في القرآن الكريم سواء في المفردات أو التراكيب، وكيف ساهم السياق في إزالة الإجمال وبيان المعنى المراد؟، والبحث يتكون من مقدمة، ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة ففيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأما المبحث الأول: فيشتمل على تعريف السياق، وتاريخ العناية به، وأنواعه، وتعريف الإجمال والبيان، وما يقع به بيان المجمل، ومنزلة السياق من طرق البيان.

وأما المبحث الثاني: ففيه الحديث على أثر السياق القرآني في بيان المجمل، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ويشتمل على أثر السياق القرآني في بيان المجمل من اللفظ المفرد.

المطلب الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المجمل من التركيب.

والخاتمة: تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

والبحث مذيل **بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.**

الكلمات المفتاحية للبحث: أثر، السياق القرآني، بيان المجمل، في القــرآن الكريم.

The impact of the Qur'anic context on illustrating summation in the Holy Qur'an

Ahmed Maher Nasr
Department Interpretation and Quran Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies, for Girls, in Sadat, Al Azhar University, Egypt.
University email: ahmadnasr.adv@azhar.edu.eg

Abstract:

The current paper investigates the Qur'anic context and its impact on illustrating summation in the Holy Qur'an highlighting the reasons for summation in the Holy Qur'an, whether in vocabulary or structures, and how the context contributed to removing summation and clarifying the intended meaning. The research consists of an introduction, two chapters and a conclusion. The introduction includes: the importance of the topic, the reasons for its selection, the research problem, its limits, previous studies, the research methodology, and its plan. Subject one includes the definition of the context, its history, its types, the definition of summarization and eloquence, what makes summarization eloquent, and the status of the context in eloquence. Subject two handles the impact of the Qur'anic context in clarifying summation, and it includes two topics. The first includes the effect of the Qur'anic context in clarifying the summation of the singular word. The second handles the impact of the Qur'anic context on illustrating summation structures. The conclusion includes the most important findings, recommendations, index of sources and references and an index of topics.

Keywords: Impact, the Qur'anic Context, the Overall Statement, in the Holy Qur'an.

مُقَدِّمَةٌ

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والنعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة، والنور المبين، أنار الله به البصائر، وأحيا به القلوب، وأخرج به الناس من ظلمات الكفر والجهل والضلال والرزيلة إلى نور الإيمان والعلم والهدى والفضيلة.

من آمن به وتمسك بما فيه فامتثل أوامره وانتهى عن نواهيه حاز سعادة الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه فلم يؤمن به ولم يتبعه ناله هذا الوعيد الوارد في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه:١٢٤).

وقد أفنى علماء الأمة أعمارهم في خدمة هذا الكتاب، فعكفوا على دراسته وتفسيره واستنباط أحكامه، وسخروا علومهم ومعارفهم في فهمه وإدراك معانيه.

كما حرص العلماء كذلك على الحيلولة دون العبث بنصوصه الشريفة، فعمدوا إلى وضع عدد من القواعد والأصول التي تعين على التفسير الصحيح والسليم لهذه النصوص، والتي هي كذلك بمثابة الميزان الذي توزن به التفاسير والأقوال كي نميز المقبول منها من غير المقبول.

وكان من بين أبرز هذه القواعد أن تفسر اللفظة أو الآية القرآنية في ضوء السياق الذي وردت فيه، وذلك لما له من أثر عظيم في فهم كلام الله (ﷻ)، وتحديد المراد به، والكشف عن معانيه.

يقول الإمام الطبري (رحمه الله): "توجيه الكلام إلى ما كان نظيرًا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه".[1]

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٥ ص١١٧.

ويقول إمام الحرمين الإمام الجويني (رحمه الله): "المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق".(١)

وقد ذكر العلماء أن أحد أهم آثار السياق هو بيان المجمل في كتاب الله (عز وجل)، كما ذكر ذلك الكثير **من العلماء منهم الإمام ابن دقيق العيد (رحمه الله) حيث قال:** السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ: فَإِنَّهَا الدَّالَّةُ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ، وَهِيَ الْمُرْشِدَةُ إلَى بَيَانِ الْمُجْمَلَاتِ، وَتَعْيِينِ الْمُحْتَمَلَاتِ".(٢)

وسأحاول في هذا البحث الذي سميته: "أثر السياق القرآني في بيان المجمل في القرآن الكريم" تجلية هذا الأثر العظيم من آثار السياق وفوائده في رفع الإجمال عن ألفاظ القرآن، وبيان معانيها والمراد بها.

أسباب اختيار الموضوع:

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع أسباب منها:

١- أهمية علم السياق القرآني كأصل عظيم من أصول التفسير، وقاعدة مهمة يجب الاعتماد عليها في تفسير القرآن الكريم.

٢- تجلية هذا الأثر العظيم والمهم من آثار السياق في بيان مجمل القرآن، والذي يستمد عظمته وأهميته من كونه متعلقًا بالمجمل الذي يُعد من أهم الأنواع الواردة في القرآن الكريم، ويعد العلم به ومعرفة كيفية التعامل معه من أهم القواعد والركائز التي يقوم عليها التفسير.

٣- أن السياق هو الملجأ الذي يلجأ إليه المفسرون غالبًا عند خفاء الدلالة وعدم وضوح المراد وهذا هو الإجمال كما سيأتي في تعريفه.

---

(١) البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبي المعالي ج٢ ص٨٧٠.

(٢) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ج٢ ص٢١.

٤- أن دراسة المجمل وبيان أسبابه وطرق كشف هذا الإجمال ومن بينها السياق من الموضوعات المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه، مما يجعل البحث في هذا الموضوع يخدم محورين من محاور العلوم والدراسات الإسلامية.

٥- أن الأبحاث والدراسات المستقلة في هذا الموضوع قليلة ومختصرة كما سيأتي ذكر في الدراسات السابقة الخاصة بهذا الموضوع، وهذا الأمر قد ظهر أثناء كتابتي لبحث آخر في السياق بعنوان: "السياق القرآني وأثره في التفسير".

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في وجود طوائف كثيرة من أهل الزيغ والضلال تعدو على نصوص القرآن، ومنها النصوص المجملات فتفسرها كيفما ترى أو يحلو لها، مجرِّدةً هذه النصوص من سياقاتها، ومتجاهلة لها فوقعت منهم جنايات عظيمة على نصوص القرآن الكريم، فأردت في هذا البحث أن أبين قيمة السياق كأصل عظيم وقاعدة مهمة من قواعد التفسير، وأن أكشف اللثام عن أثر مهم من آثار السياق وهو أثره في بيان المجملات، فجاء هذا البحث ليجيب عن الأسئلة التالية:

السؤال الأول: ما معنى السياق القرآني؟ وما أنواعه؟ وما مدى العناية به من عصر الوحي إلى يومنا هذا؟

السؤال الثاني: ما معنى المجمل لغة واصطلاحًا؟ وما معنى البيان؟ وما هي الوسائل التي يقع ويحصل بها بيان الأجمال؟

السؤال الثالث: ما منزلة السياق القرآني من الطرق التي يقع بها بيان الإجمال؟ و كيف ساهم في بيان مجمل القرآن في الألفاظ والتراكيب؟

حدود البحث:

تقتصر حدود الدراسة الموضوعية على بيان تعريف السياق وأنواعه، وتعريف المجمل والبيان، وسوق نماذج وأمثلة من ألفاظ القرآن الكريم وآياته

ساهم السياق في إزالة إجمالها، وبيان معناها والمراد بها، وليس للدراسة حدود زمنية، أو مكانية، أو بشرية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة تتناول أثر السياق في بيان الإجمال في القرآن الكريم سوى هاتين الدراستين:

الأولى: السياق وبيان دلالة المجمل في كتب التفسير، للدكتور طاهر براهيمي، جامعة غرداية، وهو بحث منشور في العدد الرابع والعشرين من مجلة التراث، جامعة الجلفة.

والبحث يقع في اثنتي عشرة صفحة، تعرض فيها الباحث لمفهوم السياق والإجمال، ثم ذكر بعض أسباب الإجمال ومثل لكل سبب بمثال أو أكثر شرح فيه كيف ساعد السياق في إزالة الإجمال ورفعه وبيان المعنى المراد.

الثانية: أثر سياق المقال في بيان ما في القرآن من الإجمال، للدكتور محمد بن زيلعي هندي، أستاذ التفسير المساعد بجامعة الطائف، والبحث يقع في قرابة ستين صفحة، تحدث فيه المؤلف عن معنى السياق وأهميته، وأنواعه، وتعريف الإجمال والبيان، ثم ذكر أسباب الإجمال في المفرد والمركب ومثل لكل سبب بمثال أو أكثر شرح فيه كيف ساعد السياق في إزالة الإجمال ورفعه وبيان المعنى المراد.

وبحثي يختلف عن هذين البحثين من عدة نواح هي:

أولًا: تعرضت في البحث لذكر الطرق التي يقع به بيان المجمل في القرآن، ومنزلة السياق من هذه الطرق، ولم يتعرض البحثان المشار إليهما لهاتين النقطتين.

ثانيًا: تفردت في هذا البحث بذكر ستة أسباب للإجمال لم يتم ذكرها في البحثين السابقين، سبب منها ضمن أسباب الإجمال في اللفظ المفرد وهو غرابة

اللفظ، وخمسة أسباب ضمن أسباب الإجمال في التركيب وهي الإجمال الحاصل بسبب التردد في الإضافة، وبسبب التردد في متعلق الجار والمجرور، وبسبب التردد في إعراب الكلمة بين كونها صفةً أو حالًا، وبسبب التردد في إعرابها بين كونها فاعلًا أو مفعولًا، وبسبب التردد بين التقديم والتأخير.

ثالثًا: حرصت عند التمثيل لكل سبب من الأسباب المذكورة في البحث أن آتي بأمثلة جديدة غير موجودة في البحثين السابقين إلا في أمثلة قليلة جدًا اتفقت كتب الأصول على التمثيل بها لقلة أو عدم وجود غيرها للتمثيل به.

ويحسن بي بعد ذكر هاتين الدراستين أن أشير إلى بحث لي كنت قد كتبته في السياق القرآني بعنوان: "السياق القرآني وأثره في التفسير" تعرضت فيه لتعريف السياق، وبيان أهميته، وأقوال العلماء فيه، وأنواعه بالتفصيل، وآثاره في التفسير وذكرت في هذا البحث تسعة عشر أثرًا للسياق في التفسير، ومثلت لكل أثر بمثالثن أو أكثر، وكان من بين هذه الآثار بيان المجمل، حيث تناولت هذا الأثر في ثلاث صفحات عرفت فيها المجمل اصطلاحًا، ومثلت له بمثالين فقط دون الخوض في أي نقاط أخرى يتعرض لها هذا البحث.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة هذا البحث على عدة أنواع من المناهج هي: المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي التتبعي، والمنهج التحليلي، والمنهج النقدي.

أما المنهج الوصفي: فقد اعتمدت عليه عند الحديث عن معنى السياق في اللغة والاصطلاح، وتاريخ العناية به، وأنواعه، وعند الحديث كذلك عن معنى المجمل والبيان، ومنزلة السياق من طرق البيان.

وأما المنهج الاستقرائي التتبعي: فيقوم على تتبع المادة العلمية من مظانها المختلفة، وقد اعتمدت عليه عند جمع الطرق التي يقع بيان الإجمال، وعند جمع أسباب الإجمال، وكذلك عند جمع الأمثلة التي تقع تحت النقاط والعناصر المختلفة التي اشتمل عليها البحث.

وأما المنهج التحليلي: فقد اعتمدت عليه في دراسة الأمثلة التي تخدم عناصر الموضوع المختلفة، حيث تناولت هذه الأمثلة بالشرح والتفسير والتحليل، واستخراج النتائج منها، وتحليل الأقوال والنقول الواردة فيها.

المنهج النقدي: وقد اعتمدت عليه عند دراسة الأمثلة والمسائل التي ورد فيها أكثر من قول، حيث أقوم بنقد هذه الأقوال وترجيح الأولى والأقوى منها بالدليل.

خطة البحث والدراسة:

اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأما المبحث الأول: فبعنوان: التعريف بالسياق والإجمال ويشتمل على مطالب:

- **المطلب الأول:** تعريف السياق القرآني، وتاريخ العناية به، وأنواعه.
- **المطلب الثاني:** تعريف المجمل في اللغة والاصطلاح.
- **المطلب الثالث:** تعريف البيان في اللغة والاصطلاح.
- **المطلب الرابع:** ما يقع به بيان المجمل.
- **المطلب الخامس:** منزلة السياق من الطرق التي يقع بيان المجمل.

وأما المبحث الثاني: فبعنوان: أثر السياق القرآني في بيان المجمل، ويشتمل على مطلبين:

- **المطلب الأول:** ويشتمل على أثر السياق القرآني في بيان المجمل من اللفظ المفرد.
- **المطلب الثاني:** أثر السياق القرآني في بيان المجمل من التركيب.

والخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

وسأذيل البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

المبحث الأول

التعريف بالسياق والإجمال

المطلب الأول

تعريف السياق القرآني، وتاريخ العناية به، وأنواعه

أولا: تعريف السياق في اللغة والاصطلاح:

(١) **تعريف السياق في اللغة:**

أصل "السِّياق" في اللغة: سِواق، قُلِبَت الْوَاو يَاء لكَسرَةِ السِّينِ[١]، وهو مأخوذ من الجذر اللغوي "س و ق".

قال ابن فارس (رحمه الله): "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقا".[٢]، وفي الصحاح للجوهري: "يقال: وَلَدَتْ ثلاثةَ بنينَ على ساقٍ واحد، أي بعضُهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية".[٣]

وقال الزمخشري: "وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و"إليك يساق الحديث "وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده".[٤]

ومن مجموع النصوص اللغوية السابقة الواردة في معنى الجذر اللغوي: يتضح لنا أن السياق يدور حول معنى التتابع والاتصال، "فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه".[٥]

---

(١) تاج العروس للزبيدي ج٢٥ ص٤٧٥، مادة: سوق.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج٣ ص١١٧، مادة: سوق.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ج٤ ص١٤٩٩، مادة: "سوق".

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ج١ ص٤٨٤، مادة: "سوق".

(٥) المعجم الوسيط ج١ ص٤٦٥.

(٢)**تعريف السياق في الاصطلاح:**

انقسم الباحثون في تعريف السياق اصطلاحا إلى فريقين:

الفريق الأول: حصروا السياق في الجانب المقالي فقط ضمن حدود السباق واللحاق، فهم يرون أن دلالة السياق مقصورة على المقال دون الحال وهو ما يسميه أهل اللغة بالسياق اللغوي، أو السياق المقالي.

يقول البناني (رحمه الله): "السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه".(١)

وعرف الباحث عبد الحكيم القاسم السياق بأنه: تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده.

وعرف دلالة السياق بأنها: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده.

وعرف دلالة السياق في التفسير: "بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له".(٢)

الفريق الثاني: جعلوا السياق شاملًا للمقال المتمثل في السباق واللحاق، وشاملًا كذلك للحال أو المقام، وعلى ذلك فالسياق ينقسم إلى قسمين:

السياق اللغوي أو سياق المقال ويتمثل في: الجمل المكونة والسابقة واللاحقة لنص الخطاب المراد تفسيره واستخلاص المقصود منه.

السياق أو الحالي أو سياق المقام: ويَعنُون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه: كحال المتكلم، والمخاطب، والغرض الذي سيق له ... إلخ.

يقول الدكتور تمام حسان متحدثا عن السياق: "هو ما انتظم القرائن الدالة

---

(١) حاشية البناني على جمع الجوامع ج١ ص٢٠.

(٢) دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير لعبد الحكيم القاسم ص٦٢.

على المقصود من الخطاب، سواء كانت القرائن مقالية أو حالية.[١]

وعرف الباحث سعيد بن محمد الشهراني السياق القرآني بأنه: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حال المخاطِب، والمخاطَب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه".[٢]

هذا وقد رجح الكثير من الباحثين المذهب الأول في تعريف السياق وأنه يقتصر على السياق اللغوي أو المقالي فقط، وذلك لأن العلماء قديما استخدموا مصطلح السياق وكانوا يقصدون منه السياق اللغوي أو المقالي، كما كانوا يفرقون بين دلالة المقال ودلالة الحال[٣] فيعبرون عن الدلالة الأولى بمصطلح السياق فيما يعبرون عن دلالة الحال بالحال أو المقام أو قرائن الأحوال ولم يعبر أحد منهم عن الحال بمصطلح السياق.

---

(١) البيان في روائع القرآن لتمام حسان ج١ ص٢٢١ بتصرف.

(٢) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة لسعيد محمد الشهراني ص ٢٢، وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة. نقلاً عن: السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ص ٦٥.

(٣) من هؤلاء العلماء الذين فرقوا بين دلالة المقال ودلالة الحال وعبروا عن الأولى بمصطلح السياق وعن الثانية بالحال أو المقام، ابن دقيق العيد (رحمه الله) حيث قال: "السِّيَاقُ وَالْقَرَائِنُ: فَإِنَّهَا الدَّالَّةُ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ مِنْ كَلَامِهِ. وَهِيَ الْمُرْشِدَةُ إلَى بَيَانِ الْمُجْمَلَاتِ، وَتَعْيِينِ الْمُحْتَمَلَاتِ". إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد جـ ٢ ص ٢١.

وابن القيم (رحمه الله) حيث قال: "وتارة يحذف الجواب وهو مراد إما لكونه قد ظهر وعرف إما بدلاله الحال كمن قيل له كل فقال لا والله الذي لا إله إلا هو أو بدلالة السياق وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن". (ينظر التبيان في أقسام القرآن ص ١٠).

لكن من خلال القراءة في كتب السابقين فقد وقفت على نصوص أخرى وإن كانت قليلة تدل دلالة واضحة على شمول مفهوم السياق لدلالة الحال أو المقام، فهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) يقرر صراحة في ثنايا كلامه اشتمال السياق على قرائن الأحوال فيقول: "كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق".(١)

وهذا الإمام الشاطبي (رحمه الله) يجعل دلالة الحال من السياق فيقول: "وأيضا؛ فالأوامر والنواهي من جهة اللفظ على تساو في دلالة الاقتضاء، والتفرقة بين ما هو منها أمر وجوب أو ندب وما هو نهي تحريم أو كراهة لا تعلم من النصوص، وإن علم منها بعض؛ فالأكثر منها غير معلوم، وما حصل لنا الفرق بينها إلا باتباع المعاني، والنظر إلى المصالح، وفي أي مرتبة تقع، وبالاستقراء المعنوي، ولم نستند فيه لمجرد الصيغة، وإلا لزم في الأمر أن لا يكون في الشريعة إلا على قسم واحد، لا على أقسام متعددة، والنهي كذلك أيضا، بل نقول: كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة، ألا ترى إلى قولهم: فلان أسد أو حمار، أو عظيم الرماد(٢)، أو جبان الكلب(٣)، وفلانة بعيدة مهوى

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج ٩ ص ٩٧.

(٢) **يقال فلان عظيم الرّماد:** أي كثير إطعام الطعام. ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب ج٢ ص١٨٨.

(٣) **يقال فلان جبان الكلب:** كناية عن الجود والكرم، وكثرة قراه للأضياف، لأن جبن الكلب يكون لكثرة الواردين عليه من الأضياف. ينظر المنهاج الواضح للبلاغة ج٣ ص٨٠، ص٣٣٣.

القرط[١]، وما لا ينحصر من الأمثلة، لو اعتبر اللفظ بمجرده لم يكن له معنى معقول".[٢]

وبناء على هذه النصوص يمكن إضافة دلالة الحال إلى مفهوم السياق، مع الإقرار في الوقت نفسه بأن هذا البحث سيكون في القسم الأول من أقسام السياق وهي سياق المقال.

ثانيا: تاريخ العناية بالسياق:

لقد بدأت العناية بالسياق منذ عصر النبي (ﷺ) حيث وردت عنه بعض الآثار التي تدل على اعتماده (ﷺ) على السياق في التفسير منها ما روي عن أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله (ﷺ) عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ (المؤمنون: ٦٠) قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ (المؤمنون: ٦١)".[٣]

ففي هذا المثال استخدم النبي (ﷺ) السياق في تفسير الآية الكريمة، وتصحيح

---

(١) **فلانة بعيدة مهوى القرط:** كناية عن طول العنق، فمهوى القرط هو المسافة بين شحمة الأذن إلى الكتف، وطول هذه المسافة يفهم منه: أن العنق طويل. المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني ج٥ ص١٥٤.

(٢) الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ج٣ ص٤١٩، ٤٢٠.

(٣) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ)، باب ٢٣ ومن سورة المؤمنون ج٥ ص٣٢٧، برقم (٣١٧٥)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة المؤمنون ج٢ ص٤٢٧، برقم (٣٤٨٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

الفهم الذي فهمته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) منها، حيث ظنت أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ العصاة الذين يرتكبون المعاصي، ويقترفون كبائر الذنوب، وهم خائفون من لقاء الله (عز وجل)، فبين النبي (صلى الله عليه وسلم) المعنى الصحيح للآية الكريمة معتمدا على السياق، واستدل بلحاق الآية وهو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ على أن المراد بها الذين يعملون الطاعات وهم خائفون ألا يتقبل منهم لتقصيرهم.

كما اعتنى السلف الصالح من الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) بالسياق، واعتمدوا عليه في فهمهم للقرآن وتفسيرهم له، وجعلوه أصلًا من الأصول التي يُرجع إليها عند تعدد المعاني واشتباهها، وأنكروا على من فهم الآية خارج السياق الذي وردت فيه من السباق واللحاق.

ومن الأمثلة التي تدلل على ذلك ما يلي:

١- ما رُوي عن عمرو بن دينار (رحمه الله) قال: سمعت جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول بأذني هاتين وأشار بيده إلى أذنيه: "يُخرج الله قوماً من النار فيُدخلهم الجنة". فقال له رجل في حديث عمرو إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ (المائدة:٣٧) فقال: جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عامًا، هذه للكفار اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ هذه للكفار".[1]

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب إخباره (صلى الله عليه وسلم) عن مناقب الصحابة (رضي الله عنهم)، باب صفة النار وأهلها ، ذكر الإخبار عن وصف خمسة أنفس يدخلون النار من هذه الأمة ج١٦ ص٥٢٦،٥٢٧، برقم (٧٤٨٣)، وقال الشيخ شعيب=

ففي هذا الأثر نرى أن أحدهم اشكل عليه فهم قول النبي (ﷺ): "يُخرج الله قوماً من النار فيُدخلهم الجنة"، وذلك عند سماعه من جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) فقال له الرجل كيف هذا والله (ﷻ) يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ ؟ فأزال جابر (رضي الله عنه) هذا الإشكال، وبين للرجل التفسير الصحيح للآية الكريمة وأنها خاصة بالكافرين، ولا يدخل فيها عصاة المؤمنين، واستدل على هذا التفسير بالسياق، لكون الآية في سياق الحديث عن الكافرين.

٢- ما روي عن ابن وهب (رحمه الله) قال: قال مالكٌ وسألته عن قول الله: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ﴾ (البقرة: ٢٣٩) قال: راكبًا وماشيًا، ولو كانت إنما عنى بها الناس، لم يأت إلا "رجالًا" وانقطعت الآية. إنما هي "رجالٌ": مشاة، وقرأ: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (الحج: ٨٧)، قال: يأتون مشاة وركبانا".(١)

ففي هذا الأثر سأل ابن وهب (رحمه الله) شيخه مالك بن أنس (رحمه الله) عن معنى كلمة: "رجالاً" في قوله تعالى: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ﴾ فبين له معناها والمراد منها وهو مشاة، واستدل على هذا المراد بالسياق؛ وهو عطف كلمة: ﴿رُكْبَانًاۖ﴾ التي هي جمع راكب عليها، إذ لو كان المقصود بها الناس، لم يأت إلا "رجالا" فقط وانقطعت الآية، كما استدل على ذلك المعنى أيضا بآية أخرى

=الأرناؤوط في تعليقه على الصحيح: "إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إسحاق بن موسى الأنصاري، فمن رجال مسلم".

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٤ ص٣٩٢، بإسناد صحيح: فالراوي عن مالك (رحمه الله) عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري: إمام حافظ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج٩ ص٢٢٣)، والراوي عن ابن وهب: يونس بن عبد الأعلى وهو كذلك إمام حافظ. (سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٢ ص٣٤٩)، وروى عن يونس الإمام الطبري (رحمه الله).

وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ والمعنى: يأتوك مشاة، وركباناً على كلّ ضامر، وهي الإبل المهازيل.

كما اعتنى كذلك المفسرون بالسياق في تفسيرهم للقرآن، فلا تجد تفسيرًا من التفاسير إلا واعتمد مؤلفه على السياق إما في تفسير لفظة أو كلمة غريبة وردت فيه، أو بيان لمعنى آية، أو ترجيح لأحد المحتملات الواردة في معناها، أو بيان لمجمل القرآن، أو تخصيص لعمومه، أو تقييد لمطلقه، أو تعيين لمبهمه، أو إزالة للإشكال عن مشكله إلى غير ذلك من الوجوه التي استعانوا فيها بالسياق مما يدلل على أهميته كأحد القرائن التي يعتمد عليها في فهم كلام الله (ﷻ).

وقد وردت أقوال كثيرة عن العلماء في بيان أهمية السياق كأحد أهم الأصول التي يُعتمد عليها في تفسير القرآن وبيان معانيه، منها ما يلي:

١- **قال الإمام الطبري (رحمه الله):** "توجيه الكلام إلى ما كان نظيرا لما في سياق الآية، أولى من توجيهه إلى ما كان منعدلاً عنه".(١)

٢- **وقال إمام الحرمين الجويني (رحمه الله):** "المعاني يتعلق معظمها بفهم النظم والسياق".(٢)

٣- **وقال الإمام ابن القيم (رحمه الله):** "السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٥ ص١١٧.

(٢) البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبي المعالي ج٢ ص٨٧٠.

ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ (الدخان:٤٩) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير".[١]

٤- **وقال ولي الدين الدهلوي (رحمه الله):** "ولابد للمفسر العادل أن ينظر إلى شرح الغريب نظرتين ويزنه وزنا علمياً مرتين، مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح، ومرة ثانية في مناسبة السابق واللاحق بعد إحكام مقدمات هذا العلم وتتبع موارد الاستعمال والفحص عن الآثار حتى يعلم أي صورة من صورها أولى وأنسب".[٢]

ثالثا: أنواع السياق:

يتنوع السياق إلى أنواع مختلفة باعتبارات متنوعة، فهناك أنواع للسياق من حيث حدود الدلالة، وهناك أنواع للسياق من حيث العلاقات التركيبية بين أجزاء النص، وهناك أنواع للسياق من حيث العلاقة بين النص ومحيطه الخارجي وسأقتصر فقط على بيان أنواع السياق بحسب الاعتبار الأخير وهو أنواع السياق من حيث العلاقة بين النص ومحيطه الخارجي، ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع أنواع السياق بحسب الاعتبارات الأخرى في بحثي المعنون بـــ "السياق القرآني وأثره في التفسير"[٣]، **حيث ينقسم السياق بحسب هذا الاعتبار الأخير إلى قسمين:**

أحدهما: السياق اللغوي ويُطلق عليه كذلك: السياق اللفظي، وسياق النظم، وسياق النص، وسياق المقال.

ويتمثل هذا السياق في الجمل المكونة والسابقة واللاحقة لنص الخطاب

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ج٤ ص١٣١٤.

(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد بن عبد الرحيم المعروف بـــ «ولي الله الدهلوي» ص١٨٢.

(٣) السياق القرآني وأثره في التفسير للدكتور أحمد ماهر سعيد ص١٤٣ــ ١٥٩.

المراد تفسيره واستخلاص المقصود منه.

ويمكن تعريفه أنه: "السياق الذي تمثله بنية التراكيب اللغوية بأصواتها، وكلماتها، وجملها، وعباراتها".[١]

الثاني: السياق غير اللغوي ويطلق عليه كذلك: السياق المعنوي، وسياق الحال، وسياق المقام.

وهو: المتعلق بالظروف والملابسات التي حفت بالنص عند نزوله وهي العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص.[٢]

(١) فصول في علم الدلالة لفريد عوض حيدر ص١١٩.

(٢) السياق وتوجيه دلالة النص لعيد بلبع ص١٢٩.

المطلب الثاني
تعريف المجمل في اللغة والاصطلاح

أولا: تعريف المجمل في اللغة:

المجمل في اللغة: المجموع أو المُحصل، مشتق من الجمل بمعنى الجمع والتحصيل؛ يقال: "جمل جمع، وجمل وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة، وأجمل الحساب رده إلى الجملة".(١)

يقول ابن فارس (رحمه الله): "أجملت الشيء، وهذه جملة الشيء. وأجملته حصلته".(٢)

وفي لسان العرب لابن منظور: "والجملة: جماعة الشيء، وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة؛ وأجمل له الحساب كذلك، والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال: أجملت له الحساب والكلام؛ قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ (الفرقان:٣٢)؛ وقد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة".(٣)

وفي مفردات الراغب: "قيل لكلّ جماعة غير منفصلة: جُمْلَة، ومنه قيل للحساب الذي لم يفصّل والكلام الذي لم يبيّن: مُجْمَل، وقد أجملت الحساب، وأجملت في الكلام. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ (الفرقان:٣٢)؛ أي: مجتمعا لا كما أنزل نجومًا مفترقة، وقول الفقهاء: المُجْمَل: ما يحتاج إلى بيان، فليس بحدّ له ولا تفسير، وإنما هو ذكر بعض

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي فصل الجيم ص ٩٧٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج١ ص٤٨١، مادة: "جمل".

(٣) لسان العرب لابن منظور ج١١ ص١٢٨، مادة: "جمل".

أحوال الناس معه، والشيء يجب أن تبيّن صفته في نفسه التي بها يتميز، وحقيقة المجمل: هو المشتمل على جملة أشياء كثيرة غير ملخّصة".[١]

ثانيًا: تعريف المجمل في الاصطلاح:

عرف الأصوليون المجمل بعدة تعريفات غير أن هذه التعريفات لا تكاد تسلم من الاعتراضات الواردة عليها، ومن التعريفات التي سلمت من الرد كما أشار إلى ذلك الأستاذ الدكتور أسامة عبد العظيم (رحمه الله)[٢]، والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي[٣] تعريف ابن الحاجب والسبكي للمجمل بأنه: "ما لم تتضح دلالته"[٤] أي ما له دلالة لكنها غير واضحة.

وقد شرح هذا التعريف الدكتور الحفناوي فقال:

"ما" جنس في التعريف يشمل اللفظ والفعل.

وقوله: "له دلالة" قيد أول يخرج به المهمل، كديز مقلوب زيد فإنه لا يوصف لا يوصف بالإجمال ولا بالبيان؛ لأنه لا دلالة له على شيء.

وقوله: "غير واضحة" قيد ثان في التعريف يخرج به المبين الذي لا خفاء فيه فهو واضح الدلالة".[٥]

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٠٣.

(٢) ينظر أسباب الإجمال في الكتاب والسنة وأثرها في الاستنباط للدكتور أسامة عبد العظيم ص١٢.

(٣) ينظر أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي للدكتور محمد إبراهيم الحفناوي ص١٢.

(٤) ينظر منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب ص١٣٦، جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي ص٥٥.

(٥) أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي للدكتور محمد إبراهيم الحفناوي ص١٢.

وهناك تعريفات أخرى ارتضاها الدكتور الحفناوي ووصفها بكونها جامعةً مانعةً منها على سبيل المثال تعريف القاضي أبي يعلى للمجمل بأنه: "ما لا ينبئ عن المراد بنفسه، ويحتاج إلى قرينة تفسره".(١)

وتعريف الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار له بأنه: "ما تردد بين محتملين فأكثر على السواء".(٢)

وقد شرح ابن النجار (رحمه الله) هذا التعريف فقال: "ما" جنس يشمل اللفظ والفعل.

وقوله "بين محتملين": احترز به عما له محمل واحد كالنص.

وقوله "على السواء": احتراز عن الظاهر وعن الحقيقة التي لها مجاز، وشمل القول والفعل والمشترك والمتواطئ".(٣)

(١) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى ج١ ص١٤٢.

(٢) شرح الكوكب المنير للفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار ج٣ ص٤١٤.

(٣) المرجع السابق بتصرف.

المطلب الثالث
تعريف البيان في اللغة والاصطلاح:

أولا: تعريف البيان في اللغة:

البيان في اللغة الإظهار والإيضاح والكشف والإفصاح، واختلف فيه: فقيل هو مصدر مأخوذ من قولك: بان الشيء بياناً إذا اتضح وانكشف.

في الصحاح للجوهري: "والبيان: الفصاحة واللسن، وفي الحديث: "إنَّ من البيان لسحرًا"[(١)]. وفلان أَبْيَنُ من فلانٍ، أي أفصح منه وأوضح كلامًا. وأبين: اسم رجل نسب إليه عدن، يقال عدن أبين.

والبيان: ما يتبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بَياناً: اتَّضَحَ فهو بَيِّنٌ، والجمع أبيناء، مثل هين وأهيناء. وكذلك أبان الشيء فهو مُبينٌ.

قال: لو دَبَّ ذَرٌّ فوق ضاحي جِلْدِها لأبانَ من آثارِهِنَّ حُدورُ.[(٢)]

وأَبَنْتُهُ أنا، أي أوضحته. واستبان الشيء: وضح. واستبنته أنا: عرفته. وتبين الشيء: وضح وظهر. وتَبَيَّنْتُهُ أنا، تتعدَّى هذه الثلاثة ولا تتعدَّى. والتَبْيينُ: الإيضاح. والتَبيينُ أيضاً: الوضوح. وفي المثل: "قد بَيَّنَ الصُبحُ لذي عينين"، أي تبين".[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: الخطبة ج٥ ص١٩٧٦، برقم (٤٨٥١) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا.

(٢) البيت قاله عمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص١٤٣ في قصيدة مطلعها: لِمَنِ الدِيارُ كَأَنَّهُنَّ سُطورُ، والشاعر في البيت المذكور يصف محبوبته بالرقة والتنعم، فيقول لو دب يعني لو مشى، ذر وهو النمل الصغير، فوق ضاحي جلدها: يعني على ما ظهر منه وبرز، لأبان يعني لظهر واتضح، من آثارهن حدور والحدور هو الورم.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ج٥ ص ٢٠٨٣، مادة: بين.

وقيل: إنه اسْمُ مَصْدَرِ لـــ "بَيَّنَ" إذَا أُظْهِرَ، يُقَالُ: بَيَّنَ بَيَانًا وَتِبْيَانًا، كَكَلَّمَ يُكَلِّمُ كَلَامًا، وَتَكْلِيمًا".(١)

في المصباح المنير: "بَانَ الْأَمْرُ يَبِينُ فَهُوَ بَيِّنٌ وَجَاءَ بَائِنٌ عَلَى الْأَصْلِ وَأَبَانَ إبَانَةً وَبَيَّنَ وَتَبَيَّنَ وَاسْتَبَانَ كُلُّهَا بِمَعْنَى الْوُضُوحِ وَالِانْكِشَافِ وَالِاسْمُ الْبَيَانُ وَجَمِيعُهَا يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا إلَّا الثُّلَاثِيَّ فَلَا يَكُونُ إلَّا لَازِمًا".(٢)

ثانيًا: تعريف البيان في الاصطلاح:

ذكر الأصوليون للبيان عدة تعريفات كلها متقاربة من حيث المعنى؛ فقد عرفه أبو بكر الصيرفي بأنه: "إخْرَاجُ الشَّيْءِ مِنْ حَيِّزِ الْإِشْكَالِ إلَى حَيِّزِ التَّجَلِّي".(٣) أو من الإشكال إلى الوضوح.(٤)

وعرفه القاضي أبو يعلى بأنه: "إظهار المعنى وإيضاحه للمخاطب مفصلا مما يلتبس به ويشتبه من أجله".(٥)

وحكى القاضي أبو الحسن الماوردي عن جمهور الفقهاء أن البيان: إظهار المراد بالكلام الذى لا يفهم منه المراد إلا به.(٦)

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٥ ص٨٨.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ج١ ص٧٠، مادة: بين.

(٣) ينظر قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني ج١ ص٢٥٨، المنخول من تعليقات الأصول لأبي حامد الغزالي ص١٢٣، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٥ ص٨٩.

(٤) ينظر روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي ج١ ص٥٢٨.

(٥) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الحنبلي ج١ ص١٠١.

(٦) ينظر قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني ج١ ص٢٥٩، البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٥ ص٩٠.

المطلب الرابع
ما يقع به بيان المجمل في القرآن:

بيان المجمل في القرآن يقع بشيئين رئيسين:

أحدهما: البيان بالمأثور، ونعني بالمأثور هنا أحد شيئين:

الأول: المنقول عن الله (ﷻ) في كتابه.

وذلك كقوله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ (المدثر:٣١)، فإنه مبين لقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ (المدثر:٣٠)، وذلك أن "تسعة عشر" مجمل لاحتمال أن يكونوا ملائكة، أو آدميين، أو شياطين، أو غيرهم من المخلوقات.

وقد ذكر الإمام الزركشي (رحمه الله) أن بيان المجمل في القرآن قد يقع متصلًا وقد يقع منفصلًا.

أما المتصل فكقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة:١٨٧) فإنه فسر مجمل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾(البقرة:١٨٧) إذ لولا ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ لبقي الكلام الأول على تردده وإجماله.

وقد ورد أن بعض الصحابة كان يربط في رجله الخيط الأبيض والأسود ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له لونهما فأنزل الله تعالى بعد ذلك: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنه أراد الليل والنهار.

وأما المنفصل فكقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (القيامة:٢٢،٢٣) فإنه دل على جواز الرؤية ويفسر به قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (الأنعام: ١٠٣) حيث كان مترددًا بين نفي الرؤية أصلًا وبين نفي الإحاطة والحصر دون أصل الرؤية.[1]

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٢١٥،٢١٦ بتصرف.

الثاني: المأثور عن النبي (ﷺ) في سنته الثابتة، وهذا المأثور قد يكون قولًا وقد يكون فعلًا.

أما القول فكقوله (ﷺ): "ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي"[(١)] فإنه مبين للقوة المجملة الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ**﴾ (الأنفال: ٦٠).[(٢)]

وأما الفعل فكفعله (ﷺ) في تأدية الصلوات فإنه وقع بيان للمجمل من قوله تعالى ﴿**وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ (البقرة: ٤٣) وكفعله في المناسك يُعد بيانًا لقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ**﴾ (آل عمران: ٩٧) وقد أكد (ﷺ) ذلك بقوله: "صلوا كما رأيتموني أصلي"[(٣)] وقوله "خذوا عني مناسككم"[(٤)] نبههم به على وجوب اعتبار البيان بفعله عما أجمل في الكتاب ==

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه ج٣ ص١٥٢٢، برقم (١٩١٧) عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) مرفوعًا.

(٢) ينظر شرح مختصر الروضة ج٢ ص٦٧٨،٦٧٩ بتصرف.

(٣) **جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب:** الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة ج٥ ص٢٢٣٨، برقم (٦٥٦٢) عن مالك بن الحويرث (رضي الله عنه) مرفوعًا بلفظ: "أتينا النبي (ﷺ)، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رقيقا رحيما، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم".

(٤) الحديث بهذا اللفظ أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الحج، بَابُ الْإِيضَاعِ فِي وَادِي مُحَسِّرٍ ج٥ ص٢٠٤، ٩٥٢٤ عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) مرفوعًا، وأخرجه عنه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا. وبيان قوله (ﷺ) "لتأخذوا مناسككم" ج٢ ص٩٣٤، برقم (١٢٩٧) بلفظ: "رأيت النبي (ﷺ)=

==ذكره.[1].

وقد ذكر الآمدي (رحمه الله) أن بيان المجمل بالفعل هو مذهب الأكثرين خلافا لطائفة شاذة[2]، وذكر الأدلة على وقوع البيان بالفعل من النقل والعقل:

أما النقل: فهو أن رسول اللَّه (ﷺ) بيَّن الصلاة والحج بالفعل، ثم قال: "صلُّوا كما رأيتُموني أصلي"، وقال: "خُذُوا عني مناسِككم" فدلَّ هذا القول على أن فعله بيان لقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾.[3]

وأما العقل: فهو أن الإجماع منعقد على كون القول بياناً، والإتيان بأفعال الصلاة والحج؛ لكونها مشاهدة أدل على معرفة تفصيلها من الإخبار عنها بالقول، فإنه (ليس الخبر كالمعاينة)[4] ولهذا كانت مشاهدة زيد في الدار أدل على معرفة كونه فيها من الإخبار عنه بذلك.

=يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه".

(١) ينظر الفصول في الأصول للجصاص ج٢ ص٣٥ بتصرف.

(٢) ينظر الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص٢٧.

(٣) ينظر الفصول في الأصول للجصاص ج٢ ص٣٥ بتصرف.

(٤) هذا نص حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٣ ص٣٤١، برقم (١٨٤٢)، والبزار في مسنده ج١١ ص٢٧٢، برقم (٥٠٦٢)، والطبراني في المعجم الأوسط ج١ ص١٢، برقم (٢٥)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ ج٢ ص٣٥١، برقم (٣٢٥٠)، عن عبد الله بن عباس مرفوعًا، وقال الحاكم: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ"، ووافقه الذهبي في التلخيص، وقد صحح إسناد الحديث كذلك الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، كما صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد كذلك. (ينظر مسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٤٢٤، حديث رقم (١٨٤٢)، ط: دار الحديث).

وإذا كان القول بيانا، مع قصوره في الدلالة عن الفعل المشاهد، فكون الفعل بيانا أولى. (١)

يقول ابن النجار (رحمه الله) في شرح الكوكب المنير: "والبيان الفعلي أقوى" من البيان القولي، لأن المشاهدة أدل على المقصود من القول، وأسرع إلى الفهم، وأثبت في الذهن، وأعون على التصور وقد عرف النبي (ﷺ) مثل ابن آدم وأجله وأمله بالخط المربع، كما في الحديث الصحيح الذي في البخاري(٢)". (٣)

الثاني: وهو بيان المجمل بالرأي والاجتهاد، وهذا البيان يعتمد على صحة النظر وقوة الاستنباط، وذلك بأن يحمل معنى آية مجملة على آية أخرى تكون مبينة لها ورافعة لإجمالها، وهذا النوع منه المقبول ومنه المردود، كأي اجتهاد في تفسير آية، ولا اعتبار في قبوله بكونها فسرت بآية أخرى، فكثيرًا ما تجعل الآية أو لفظ منها نظيرًا لما ليس مثله، وقد يكون حمل الآية على الأخرى اجتهادًا مجردًا خاليًا من الهوى والبدعة لكنه خلاف الراجح لوجود معارض أقوى منه، واعتضاد غيره بوجه من وجوه الترجيح. (٤)

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص٢٧.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب: في الأمل وطوله ج٥ ص٢٣٥٩، برقم (٦٠٥٤)، عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) مرفوعًا بلفظ: "خط النبي (ﷺ) خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه، وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: "هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به – أو: قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا".

(٣) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي ج٣ ص٤٤٥،٤٤٦.

(٤) ينظر قواعد الترجيح لحسين الحربي ج١ ص٣٢٢.

يقول الدكتور مساعد الطيار: "تفسير القرآن بالقرآن أبلغ التفاسير، وذلك لأن كل قائل أعلم بقوله من غيره، ولا يلزم من ذلك أن كل من قال: إن هذه الآية تفسير لهذه الآية صحةُ ذلك وقَبوله؛ لأن هذا تفسير مبني على اجتهاد المفسر ورأيه، وقد لا يكون صحيحًا".(١)

(١) ينظر فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار ص٣٦،٣٧.

المطلب الخامس
منزلة السياق من طرق البيان السابقة:

يعد السياق أحد أهم الطرق التي يقع بها بيان المجمل؛ وعلى ذلك تواطأت أقوال العلماء.

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام (رحمه الله): "السِّيَاق مرشد إِلَى تبين المجملات وترجيح المحتملات وَتَقْرِير الواضحات وكل ذَلِك بعرف الِاسْتِعْمَال، فَكل صفة وَقعت فِي سِيَاق الْمَدْح كَانَت مدحًا وكل صفة وَقعت فِي سِيَاق الذَّم كَانَت ذمًا فَمَا كَانَ مدحا بِالْوَضْعِ فَوَقع فِي سِيَاق الذَّم صَار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الِاسْتِعْمَال؛ مِثَاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (الدخان: ٤٩)، أَي الذَّلِيل المهان لوُقُوع ذَلِك فِي سِيَاق الذَّم وَكَذَلِكَ قَول قوم شُعَيْب ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ (هود: ٨٧) أَي السَّفِيه الْجَاهِل لوُقُوعه فِي سِيَاق الْإِنْكَار عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا﴾ (الأحزاب: ٦٧) لوُقُوعه فِي سِيَاق ذمهم بإضلال الأتباع، وَأما مَا يصلح للأمرين فَيدل على المُرَاد بِهِ السِّيَاق كَقَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (القلم:٤) أَرَادَ بِهِ عَظِيما فِي حسنه وشرفه لوُقُوع ذَلِك فِي سِيَاق الْمَدْح وَقَوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ (الإسراء:٤٠) أَرَادَ بِهِ عَظِيما فِي قبحه لوُقُوع ذَلِك فِي سِيَاق الذَّم"[(١)]

وقال الإمام ابن دقيق العيد (رحمه الله): "أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه. وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، فاضبط هذه القاعدة. فإنها مفيدة في مواضع لا تحصى".[(٢)]

---

(١) الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام ص١٥٩،١٦٠.

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد ج٢ ص٢١.

وقال أيضًا: "السياقَ مبيِّنٌ للمجمَلات، مرجِّح لبعض المحتمَلات، مؤكِّد للواضحات".(١)

وإذا كان السياق مبينًا للمجملات كما سبق فما هي قيمته في هذا البيان؟

والجواب: أن السياق أحيانًا يكون صريحًا لا يحتمل التأويل، وفي أحيانٍ أخرى يكون محتملًا غير صريح، والسياق الصريح الذي لا يحتمل التأويل يدخل ضمن نطاق النوع الأول من البيان وهو البيان بالمنقول عن الله (ﷻ)، وهو كذلك من أنواع البيان المتصل لأنه قد يكون سابقًا للمجمل في نفس الآية أو في الآية التي تسبقها، وقد يكون لاحقًا كذلك للمجمل في نفس الآية أو الآية التي تليها.

ويعد بيان الإجمال بالسياق الصريح من أعلى درجات تفسير القرآن بالقرآن الذي يجب الأخذ به وعدم رده؛ كما قال صاحب قواعد الترجيح عند المفسرين في تحريره لمفهوم مصطلح القرآن بالقرآن": وبعد طول تأمل في هذا المصطلح ظهر لي ــ والله أعلم ــ أنه ينقسم إلى قسمين؛ أحدهما توقيفي: وهو أن يكون في الكلام لبس وخفاء فيأتي بما يزيله ويفسره، إما بعده مباشرة أو في موضع آخر وارد مورد البيان له، ومن أمثلته تفسير الهلوع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ بقوله بعده ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ (المعارج ١٩-٢١)، وتفسير الطارق في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ (الطارق:١،٢) بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾ (الطارق:٣)...، فهذا القسم ولا شك أنه أبلغ أنواع التفسير، ولا قول لأحد معه، ومثله لا يتخلف فيه، وهو الذي يصنّف من التفسير بالمأثور".(٢)

---

(١) شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد ج١ ص١٢٦.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي ج١ ص٣٢٠،٣٢١.

وأما إذا كان السياق محتملًا غير صريح فإن الاستدلال به والاعتماد عليه في بيان المجمل يعتبر من قبيل الرأي والاجتهاد في تفسير الآية، ولهذا نجد اختلافًا بين العلماء فبعضهم يأخذ به وبعضهم يتركه ولا يأخذ به اعتمادًا على دليل آخر هو أقوى عنده من السياق، ولهذا أيضًا نجد خلافًا بين العلماء في تحديد المراد من اللفظة أو الآية لاختلافهم في السياق الذي اعتمدوا عليه عند تفسيرهم للآية، كما وجدنا خلافًا على سبيل المثال في بيان المراد بالنجم في قول الله (ﷻ): ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦﴾ (الرحمن:٦)، فإنَّ النجم من الألفاظ المجملة وسبب إجماله كونه من المشترك اللفظي حيث يطلق ويُراد به نجم السماء، ويطلق كذلك ويراد به النبات الصغير قسيم الشجر وهو ما لم يقم من النبات على ساق.[١]، وقد ورد كلا التفسيرين عن السلف[٢]، والسياق محتمل لكليهما.

فمن فسره بنجم السماء نظر إلى ما تقدمه مباشرة وهو قول الله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ (الرحمن:٥)، ومن فسره بالنبت الذي لا ساق له نظر إلى اقترانه بلفظ الشجر ومجيئه بعده، فالشجر ما له ساق، والنجم ما ليس له ساق.[٣]

وقد رجح الإمام ابن جرير الطبري (رحمه الله) هذا القول[٤]، واختار الحافظ بن كثير (رحمه الله) القول الأول.[٥]

(١) الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري ص٤٨٢،٤٨٣، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص٥٨٠ بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري ج٢٢ ص١٧٣ ــ ١٧٥.

(٣) اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق لمحمد صالح محمد سليمان ص١٨٩.

(٤) جامع البيان للطبري ج٢٢ ص١٧٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٧ ص٤٥٢ بتصرف.

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المجمل.

المطلب الأول
أثر السياق القرآني في بيان المجمل من اللفظ المفرد.

أولًا: بيان المجمل بسبب غرابة اللفظ.(١)

من أسباب الإجمال في المفردات غرابة اللفظ وغموض المراد منه، كما **يقول الشيخ عبد الوهاب خلاف** (رحمه الله): "فسبب إجمال اللفظ إما كونه من المشترك الذي لا تحف به قرينة تعين أحد معانيه، أو إرادة الشارع منه معنى خاصًا غير معناه اللغوي، أو غرابة اللفظ وغموض المراد منه.

والمجمل بأي سبب من هذه الأسباب الثلاثة لا سبيل إلى بيانه وإزالة إجماله وتفسير المراد منه إلا بالرجوع إلى الشارع الذي أجمله، لأنه هو الذي أبهم مراده ولم يدل عليه لا بصيغة لفظية ولا بقرائن خارجية، فإليه يرجع في بيان ما أبهمه".(٢)

وللسياق دور مهم في بيان المجمل بسبب غرابة اللفظ، وتفسيره وكشف المراد منه.

---

(١) ذكر غرابة اللفظ كسبب من أسباب الإجمال من القدامى كل من الأئمة علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري في كتابه (كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي ج١ ص٥٤)، والزركشي في (البرهان في علوم القرآن ج٢ ص٢١٢)، وشمس الدين الفناري في (فصول البدائع في أصول الشرائع ج١ ص٩٩)، والسيوطي في (الإتقان في علوم القرآن ج٣ ص٦٠)، والتهانوي في (موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ج٢ ص١٤٧٤)، وذكره من المحدثين كل من الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه (علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع ص١٦٤)، والدكتور محمد مصطفى الزحيلي في كتابه (الوجيز في أصول الفقه الإسلامي ج٢ ص١١٦).

(٢) علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع لعبد الوهاب خلاف ص١٦٤.

ومن أمثلة المجمل بسبب غرابة اللفظ ما يلي:

١- **لفظ:** "الهلوع" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ (المعارج:١٩)، فإن هذا اللفظ مجمل، وسبب إجماله غرابة اللفظ وغموضه، ولهذا سأل عنه بعض العلماء حتى ورد أن محمد بن عبد الله بن طاهر[١] سأل ثعلبًا عن تفسيره ومعناه.[٢]

وقد زال إجمال هذه الكلمة عن طريق السياق، حيث ورد تفسيرها في الآيتين بعدها في قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ (المعارج:٢٠،٢١)، والمعنى: إذا مسه الشر أي الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير، وإذا مسه الخير أي إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره، ومنع حق الله تعالى فيها.[٣]

وتفسير الهلوع عن طريق السياق رُوي عن جماعة من السلف منهم ابن عباس (رضي الله عنهما)، والحسن البصري (رحمه الله).

---

(١) محمد بن عبد الله بن طاهر: أديب شاعر عظيم الخطر في نفسه وعند سلطانه وكان أعرج وقدم من خراسان بعد موت إسحاق بن إبراهيم المصعبي وابنه في سنة تسع وثلاثين ومائتين فقلده المتوكل أعمال إسحاق في الشرطين ببغداد وسر من رأى فلم يزل عليها إلى أن توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين ومائتين. ينظر معجم الشعراء أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني ص٤٣٦.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣٠ ص٦٤٣، تفسير القرآن العظيم للسخاوي ج٢ ص٥٠٩، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ج٤ ص٢٥٤، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٩ ص١٦٧.

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٢٤٠ بتصرف.

فعن عكرمة (ﷺ) قال: سئل ابن عباس (ﷺ) عن الهلع فقال: "هو كما قال الله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ (المعارج:٢٠،٢١) فهو الهلوع".(١)

وعَنْ حُمَيْدٍ الطَّوِيلِ، قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ، عَنْ قَوْلِهِ (ﷺ): {خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج: ١٩] قَالَ: «اقْرَأْ مَا بَعْدَهَا» فَقَرَأْتُ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ (المعارج:٢٠،٢١) قَالَ: "هَذَا الْهَلُوعُ: هَكَذَا خُلِقَ الْإِنْسَانُ".(٢)

كما فسره بهذا التفسير أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار، البغدادي النحوي، الشيباني المشهور بثعلب، حيث أورد الزمخشري في تفسيره عنه أنه

---

(١) أخرج هذا الأثر ابن أبي حاتم في تفسيره ج١٠ ص٣٣٧٤ برقم (١٨٩٩٠) عن عكرمة بدون إسناد.

(٢) رواه آدم ابن أبي إياس بإسناد صحيح إليه. كما في تفسير مجاهد ص٦٧٤. فالراوي عن الحسن البصري هو حميد الطويل: قَال عنه يحيى بْن مَعِين: ثقة، وَقَال عثمان بْن سَعِيد الدارمي: قلت ليحيى بن مَعِين: يونس بن عُبَيد أحب إليك في الحسن أو حميد؟ فَقَالَ: كلاهما. قلت: فحميد أحب إليك فيه أو حبيب بن الشهيد؟ فَقَالَ: كلاهما. قال الدارمي: يونس أكبر من حميد بكثير. (ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ج٧ ص٢٥٧).

وَقَال عنه أَحْمَد بن عَبد الله العجلي: بصري تابعي ثقة، وهو خال حماد بن سلمة. (ينظر الثقات للعجلي ص١٣٦).

وَقَال عبد الرحمن بن أَبي حاتم: عَن أبيه: ثقة لا بأس به، قال: وسمعته يقول: أكبر أصحاب الحسن قتادة ثم حميد. (ينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٣ ص٢١٩)، والراوي عن حميد حماد بن سلمة وهو ثقه، له أوهام، قال أحمد: هو أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل وأثبتهم فيه. (ينظر ميزان الاعتدال للذهبي ج١ ص٥٩٠)، وعن حماد روى آدم بن أبي إياس.

قال: "قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهلع؟ فقلت: قد فسره الله، ولا يكون تفسير أبين من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس".(١)

وبهذا التفسير قال جمهور المفسرين ومنهم الأئمة الطبري، والزجاج، ومكي بن أبي طالب، والواحدي، والبيضاوي، وابن كثير، وابن عادل، وأبو السعود.(٢)

يقول الإمام عبد العزيز بن أحمد البخاري (رحمه الله): "البيان كما يلتحق بالكلام للتفسير يلتحق به للتأكيد والتقرير وبيان التفسير سببه معنى في نفس الكلام وهو الإجمال أما بيان التقرير فسببه إرادة المتكلم لا معنى في الكلام؛ لأنه ظاهر في إفادة معناه لا يحتاج فيه إلى بيان ولكنه يحتمل أن يراد به غير ظاهره وذلك إنما يثبت بإرادة المتكلم فالتحاق البيان به يقطع ذلك الاحتمال، وقيل معنى قوله بمعنى في النص أن البيان يكون متصلا به كما في قوله تعالى، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾، فسر الهلوع الذي كان مجملا ببيان متصل به".(٣)

---

(١) الكشاف للزمخشري ج٤ ص٦١٢.

(٢) ينظر (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٣ ص٢٦٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٢٢٢، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١٢ ص٧٧١٢، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ص١١٣٣، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٥ ص٢٤٦، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٢٤٠، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج١٩ ص٣٦٦، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ج٩ ص٣٢.

(٣) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعلاء الدين، عبد العزيز بن أحمد البخاري ج١ ص٥٠.

٢- لفظ الأب في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ (عبس: ٣١) كذلك من الألفاظ المجملة وسبب الإجمال غرابة اللفظ[١]، وقد توقف في تفسيرها أبو بكر[٢] وعمر[٣](رضي الله عنهما)، وقد زال الإجمال عن هذه الكلمة عن طريق السياق سباقًا ولحاقًا وذلك لأن الكلمة ذُكرت في سياق الامتنان على الإنسان ببعض المطاعم وهي المذكورة في قوله سبحانه: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ۝٣١﴾ (عبس:٢٧ــ٣١)، ثم عقب على هذه المطاعم بقوله ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ۝٣٢﴾ (عبس:٣٢)، فعُلم أن الأب بعض ما أنبت سبحانه للإنسان متاعا لأنعامه، أو متاعًا له ولأنعامه.

---

(١) وصف اللفظ بالغرابة الإمام ابن عطية (رحمه الله) في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٤٣٩، والإمام الطيبي في فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف) ج٤ ص١٩.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب من كره أن يفسر القرآن ج١٦ ص٤٤٨، برقم (٣٢١٠٥)، عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر سئل عن: **{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}** فقال: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب اللَّه ما لا أعلم"، وإسناد هذا الأثر ضعيف لانقطاعه، فإن إبراهيم التيمي لم يدرك ولم يسمع أبا بكر (رضي الله عنه) قال عنه الدراقطني في سننه ج١ ص٢٥٤: "وإبراهيم التيمي لم يسمع من عائشة ولا من حفصة ولا أدرك زمانهما"، وإذا كان لم يدرك زمان حفصة وعائشة مع تأخر وفاتهما كثيرًا عن وفاة أبي بكر (رضي الله عنه) عُلم أنه لم يدركه.

(٣) أخرج سعيد بن منصور في سننه، فضائل القرآن ج١ ص١٨١، برقم (٤٣)، بإسناد صحيح لغيره كما قال محقق الكتاب، كما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب فضائل القرآن، باب من كره أن يفسر القرآن ج١٦ ص٤٤٧، برقم (٣٢١٠٣) بإسناد صحيح عن أنس أن عمر قال: على المنبر: **{(وَفَاكِهَةً) وَأَبًّا}** [عبس: ٣١]، ثم (قال): هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف، يا عمر.

وقد فسره ابن عباس (ﷺ) بنبت الأرض الذي يأكله الحيوان، فعنه (ﷺ) قال: "كان عمر يدعوني مع أصحاب محمد (ﷺ)، فيقول لي: لا تكلم حتى يتكلموا قال: فدعاهم فسألهم عن ليلة القدر، فقال: أرأيتم قول رسول الله (ﷺ): "التمسوها في العشر الأواخر" أي ليلة ترونها؟ قال: فقال بعضهم: ليلة إحدى، وقال بعضهم: ليلة ثلاث، وقال آخر: خمس، وأنا ساكت، قال: فقال: مالك لا تتكلم؟ قال: قلت: إن أذنت في يا أمير المؤمنين تكلمت قال: فقال: ما أرسلت إليك إلا لتتكلم، قال: فقلت: أحدثكم برأيي؟ قال: عن ذلك نسألك قال، فقلت: السبع رأيت الله (ﷻ) ذكر سبع سموات، ومن الأرض سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، ونبت الأرض سبع، قال، فقال: هذا أخبرتني ما أعلم، أرأيت ما لا أعلم؟ ما هو قولك نبت الأرض سبع؟ قال: فقلت: إن الله يقول: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا﴾ (عبس:٢٦،٢٧) إلى قوله ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ والأب نبت الأرض ما يأكله الدواب ولا يأكله الناس قال، فقال عمر: أعجزتم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه بعد إني والله ما أرىَ القول إلا كما قلت، وقال: قد كنت أمرتك أن لا تكلم حتى يتكلموا، وإني آمرك أن تتكلم معهم".(١)

كما فسره بهذا التفسير كذلك جماعة من التابعين؛ فعن مجاهد (رحمه الله) قال: "الْأَبُّ: مَا أَكَلَتِ الْأَنْعَامُ"(٢)، وعن قتادة (رحمه الله) قال: "هُوَ مَا تَأْكُلُهُ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الصوم ج١ ص٦٠٤، برقم (١٥٩٧)، وقال «هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وذكره ابن حجر مختصراً في تفسير أباً وصحح إسناده (ينظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١٣ ص٢٧١.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص١٢٢ عن مجاهد بإسناد حسن. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج١ ص٥٨، كما أخرجه=

الدَّوَابُّ"[1] وعن عكرمة (رحمه الله) قال: "الْفَاكِهَة مَا تَأْكُل النَّاس ﴿وَأَبًّا ۝٣١﴾ مَا تَأْكُل الدَّوَابّ"[2]، وعن سعيد بن جبير (رحمه الله): "ما أنبتت الأرض مما يأكل الأنعام"[3]، وعن عطاء (رحمه الله) قال: "وقال عطاء: الفاكهة ما تأكلون، والأب: ما تأكل أنعامكم".[4]

وقد فسر الأب بهذا التفسير جماعة من المفسرين منهم: الطبري، والزجاج، ومكي بن أبي طالب، والزمخشري، والقرطبي، وابن الأحنف اليمني، والألوسي، والزحيلي.[5]

=البخاري في صحيحه تعليقًا. (ينظر صحيح البخاري ــ كتاب التفسير ــ باب: تفسير سورة: {عبس} ج٤ ص١٨٨٢).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص١٢٢عن قتادة بإسناد صحيح، فالراوي عن قتادة هو معمر بن راشد وهو "ثقة ثبت فاضل" (تقريب التهذيب لابن حجر ص٥٤١ رقم (٦٨٠٩)، والراوي عن معمر محمد ابن ثور الصنعاني أبو عبد الله العابد وهو ثقة (تقريب التهذيب لابن حجر ص٤٧١، رقم (٥٧٧٥)، قال عنه أبو حَاتِم: ثقة. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٨ ص١٦)، وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب الثقات ج٩ ص١٠٤، وعن محمد بن عبد الأعلى روى الإمام الطبري (رحمه الله).

(٢) أخرجه عنه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ج٨ ص٤٢٢.

(٣) نسب هذا القول إلى سعيد بن جبير الإمام الواحدي في تفسيره التفسير البسيط ج٢٣ ص٢٣٤، ولم أقف عليه مسندًا.

(٤) نسب هذا القول إلى عطاء الإمام الواحدي في تفسيره التفسير البسيط ج٢٣ ص٢٣٢، ولم أقف عليه مسندًا.

(٥) ينظر (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص١١٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٥ ص٢٨٦، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١٢ ص٨٠٦٦، والكشاف للزمخشري ج٤ ص٧٠٤،٧٠٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٩ ص٢٢٢، البستان في إعراب مشكلات القرآن لأحمد بن أبي بكر بن عمر=

ثانيًا: بيان المجمل بسبب الاشتراك

من أسباب الإجمال في اللفظ المفرد الاشتراك.[١]

والمشترك اللفظي كما عرفه العلماء هو: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر"[٢]، سواء كان المعنيان المشتركان في اللفظ متضادين، أو كانا مختلفين غير متضادين.[٣]

يقول الشيخ نجم الدين الطوفي (رحمه الله) مبينًا أن الاشتراك أحد أسباب الإجمال: "المجمل: لغة: ما جعل جملة واحدة، لا ينفرد بعض آحادها عن بعض، واصطلاحًا: اللفظ المتردد بين محتملين فصاعدًا على السواء. وقيل: ما لا يفهم منه عند الإطلاق معنى.

قلت: معين وإلا بطل بالمشترك؛ فإنه يفهم منه معنى غير معين، وهو إما في المفرد، كالعين، والقرء، والجون[٤]، والشفق في الأسماء، وعسعس، وبان في الأفعال، وتردد «الواو» بين العطف والابتداء في نحو: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ (آل عمران: ٧)، و «من» بين ابتداء الغاية والتبعيض في آية التيمم في الحروف،

=الجبلي المعروف بابن الأحنف اليمني ج٤ ص٢٩٨، والتفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي ج٣٠ ص٧٠).

(١) ينظر المحصول للرازي ج١ ص٣٥٧، شرح المعالم في أصول الفقه لابن التلمساني عبد الله بن محمد علي شرف الدين أبو محمد الفهري المصري ج١ ص٥٠٩، نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي ج٢ ص٩٦٣، الإبهاج في شرح المنهاج (على منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي) لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج عبد الوهاب بن علي السبكي ج٢ ص٢٠٩.

(٢) ينظر تاج العروس للزبيدي ج١ ص٢٥.

(٣) ينظر الراموز على الصحاح للسيد محمد بن السيد حسن ص٤٧.

(٤) الجون كما ذكر ابن الأنباري من الأضداد ويطلق على الأبيض والأسود، فيقال للأَبيض جَوْن، وللأَسود جَوْن. (الأضداد لابن الأنباري ص١١١، رقم ٦٣).

أو في المركب كتردد الذي بيده عقدة النكاح بين الولي والزوج، وقد يقع من جهة التصريف كالمختار والمغتال للفاعل والمفعول، وحكمه التوقف على البيان الخارجي".(١)

فيظهر لنا من هذا الكلام أن الاشتراك أحد أسباب الإجمال في اللفظ المفرد، وأن وقوع المشترك اللفظي في آية قرآنية، يكون سببًا لإجمال المعنى فيها، وذلك لعدم معرفة المعنى المراد من معانيه، وهنا يأتي دور السياق حيث يكون له الدور الأهم في إزالة الإجمال، وبيان المراد من اللفظ.

ومن أمثلة بيان السياق للمجمل بسبب اشتراك اللفظ وإطلاقه على معنيين متضادين:

١- لفظ الظن: فهو من الألفاظ المجملة، والسبب في إجماله كونه من ألفاظ الأضداد حيث يأتي أحيانا بمعنى الشك، ويأتي أحيانا بمعنى اليقين، ويؤدي السياق دورًا مهمًا في إزالة إجماله وتحديد معناه وبيان المراد منه.

فالظن في قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ (الكهف:٥٣)، المراد منه اليقين، فمعنى ﴿فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: "فعلموا وأيقنوا أنهم داخلوها"(٢)، والحامل لدلالته على اليقين دون الشك هو سياق الآية، فقد سبق هذه اللفظة في نفس الآية قوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾، والمعنى: "إنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك(٣)، فإذا رأى المجرمون النار

(١) شرح مختصر الروضة لسليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري ج٢ ص٦٤٧.

(٢) النكت والعيون للماوردي ج٧ ص١٨٤.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين ج٤ ص٢١٨٤، برقم (٢٨٤٢) عن عبد الله بن=

تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها".[1]

وكذلك الظن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (البقرة:٤٦)، المراد منه اليقين وليس الشك، والحامل لدلالته على اليقين دون الشك هو سياق الآية، وذلك أن السياق في مدح المؤمنين الخاشعين الذين يستعينون بالصبر والصلاة عند وقوع المصائب، لأنهم يظنون أنهم ملاقوا الله (ﷻ) وهذا الظن من جانب المؤمنين لا يجوز أن يفسر بالشك إذ الشك في لقاء الله (ﷻ) كفر فوجب حمله على اليقين.

قال الإمام الطبري (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية: "إن قال لنا قائل: وكيف أخبر الله جل ثناؤه عمن قد وصفه بالخشوع له بالطاعة أنه يظن أنه ملاقيه، والظن: شك، والشاك في لقاء الله عندك بالله كافر؟ قيل له: إن العرب قد تسمي اليقين ظنًا، والشك ظنًا، نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة، والمغيث صارخًا، والمستغيث صارخًا، وما أشبه ذلك من الأسماء التي تسمي بها الشيء وضده. ومما يدل على أنه يسمى به اليقين قول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج ** سراتهم في الفارسي المسرد[2]

=مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٥ ص١٥٤.

(٢) البيت قاله دريد بن الصمة، وهو في ديوانه ص٦٠ في قصيدة مطلعها: أرث جديد الحبل من أم معبد.

وظنوا في البيت كما هو مذكور في المتن بمعنى استيقنوا لأنه إنما يخوف أعدائه باليقين لا بالشك. =

يعني بذلك: تيقنوا ألفي مدجج تأتيكم.

وقول عميرة بن طارق:

بأن تغتزوا قومي وأقعد فيكم ** وأجعل مني الظن غيبا مرجما[1]

يعني: وأجعل مني اليقين غيبًا مرجمًا. والشواهد من أشعار العرب وكلامها على أن الظن في معنى اليقين أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا لمن وفق لفهمه كفاية".[2]

بينما الظن في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ (الجاثية:٣٢)، فالمراد منه الشك وليس اليقين بدليل أن الكفار أعقبوا ذلك بقولهم كما حكى القرآن عنهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ۝٣٢﴾ (الجاثية:٣٢) أي وما نحن بمتيقنين من إنها كائنة وآتية.

ومن أمثلة بيان السياق للمجمل بسبب اشتراك اللفظ واطلاقه على معنيين مختلفين غير متضادين:

١- لفظ الصاعقة في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝﴾؛ فهي من الألفاظ المجملة، والسبب في إجمالها كونها من المشترك اللفظي حيث أتى الصعق في القرآن

=**وقوله:** سراتهم، يعني به رؤساءهم وخيارهم، والفارسي المسرد، يعني به الدروع. والسرد: تتابع الشيء، كأنه أراد في الدروع تتابع الحلق في النسج. (ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٥٧٦).

(١) هذا البيت قاله عميرة بن طارق في قصيدة مطلعها: أَقِلِيَ عَليّ اللومَ يا أمّ خِثْرِما (ينظر شرح نقائض جرير والفرزدق لمعمر بن المثنى ج٣ ص٩٠٥،٩٠٦).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج١ ص٦٢٣،٦٢٤.

مرةً بمعنى الموت كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (الزمر:٦٨)، ومرة أخرى بمعنى الإغماء كما في قوله سبحانه: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ (الأعراف: ١٤٣) ولهذا اختلف المفسرون في تفسيرها وبيان المراد منها على قولين:

أحدها: أن المراد بها ما يصعقون منه أي يموتون.(١)

عن قتادة (رحمه الله) قال: "أخذتهم الصاعقة، ثم بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم".(٢)

الثاني: أن المراد بها الأحوال الشاقة التي تؤدي إلى "ذهاب العقل وغمور الفهم، أو فقد بعض آلات الجسم"(٣)، وليس الموت حقيقة.

ففي تفسير الراغب: "والموت يحمل على المعروف ويحمل أيضا على الأحوال الشاقة الجارية مجرى الموت، وليس يقتضي قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أنهم ماتوا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

وقد رجح السياق القول الأول أن المراد بها الموت، وذلك لأن الله (عز وجل) أعقب قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ بقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (البقرة:٥٦)، والبعث إنما يكون بعد الموت.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص١٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ما بين العلامتين من جامع البيان للطبري ج١ ص٦٩١.

قال الإمام ابن الجوزي (رحمه الله) عند تفسيره لقوله - تعالى - ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾: "ومعنى «الصاعقة»: ما يُصعقون منه، أي: يموتون، ومن الدليل على أنهم ماتوا، قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾** هذا قول الأكثرين.

وزعم قوم أنهم لم يموتوا، واحتجوا بقوله تعالى: **﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾** وهذا قول ضعيف، لأن الله - تعالى - فرق بين الموضعين، فقال هناك: **﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾**، وقال هاهنا: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾** والإفاقة للمغشي عليه، والبعث للميت".(١)

٢- لفظ أمة من الألفاظ المجملة والسبب في إجماله كونه من المشترك اللفظي الذي يطلق على عدة معان منها: الإمام، والجماعة، والسنين.(٢)، وللسياق دور مهمٌ في تفسير معناه وبيان المراد منه، ففي قوله تعالى: **﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾** (النحل:١٢٠)، لا يسوغ القول إن كلمة أمة بمعنى الجماعة، أو بمعنى السنين؛ إذ السياق يُعين معنى الإمام.

يقول الإمام ابن كثير (رحمه الله): "الكلمة الواحدة تطلق على معاني كثيرة كلفظة الأمة فإنها تطلق ويراد بها الدين كقوله تعالى: **﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾** (الزخرف: ٢٢)، وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى: **﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾** (النحل: ١٢٠)،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة ج١ ص٢٧١ برقم (٥٣) بإسناد صحيح. (ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج١ ص١٦٣).

(٢) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين المنجد ص١٠٣،١٠٤، المشترك اللفظي في الحقل القرآني للدكتور عبد العال سالم مكرم ص١٠٠ــ ١٠٢.

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص: ٢٣) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ (النحل:٣٦)، وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ (يوسف: ٤٥) أي بعد حين على أصح القولين ...، ولفظة الأمة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنما دل في القرآن في كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام".(١)

٣- ومن أمثلة المشترك في الحروف حرف الباء: فإن لها ثلاثة عشر معنى(٢).

والسياق هو الذي يحدد المعنى المراد من هذه المعاني، فالباء في قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ (العنكبوت:٤٠) للسببية، حيث بين سبحانه في هذه الآية الكريمة أنه أخذ وأهلك الأمم المكذبة المذكورة في الآيتين السابقتين على هذه الآية من قوم عاد وقوم ثمود وقارون وفرعون وهامان، وأعقب ذلك ببيان سبب الأخذ وهو ما اقترفوه وارتكبوه من الذنوب والآثام، والباء في الآية الكريمة يصلح أن يحل محلها اللام.

قال الإمام أبو محمد حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي (رحمه الله): "الباء حرف مختص بالاسم، ملازم لعمل الجر. وهي ضربان زائدة، وغير زائدة، فأما غير الزائدة فقد ذكر النحويون لها ثلاثة عشر معنى؛ منها: التعليل: قال ابن مالك: هي التي تصلح غالبًا في موضعها اللام، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٦٨،٦٩.

(٢) ذكر هذه المعاني أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي في كتابه الجنى الداني في حروف المعاني ص٣٩.

ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (البقرة:٥٤)، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا﴾ (النساء:١٦٠)، ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ (العنكبوت: ٤٠)".[١]

ثالثا: بيان المجمل بسبب التواطء

من أسباب الإجمال التواطء[٢]

والمتواطئ هو اللفظ الموضوع لمعنى كلى مستو في محاله[٣] وذلك نحو لفظ "الإنسان" إذا استُعمل في "زيد" و "عمرو" فإن الإنسان لفظ موضوع لمعنى كلي شامل، وهذا المعنى مستو في زيد وعمرو إذ كل منهما لا يزيد على الآخر في الإنسانية.

يقول الإمام الزركشي (رحمه الله): "ينقسم الكلي إلى متواطئ ومشكك؛ لأنه إن كان حصول معناه في أفراده على التساوي، فهو المتواطئ كدلالة الإنسان على زيد وعمرو ونحوه، إذ كل فرد من أفراده لا يزيد على الآخر في الإنسانية، فإن الإنسانية التي في زيد مثلا ليست بأسد ولا أولى ولا أقدم منها في عمرو، سمي بذلك لمطابقة كل واحد من أفراده معناه، والمواطأة: الموافقة".[٤]

والفرق بين المشترك والمتواطئ أن المتواطئ هو اللفظ الذي يطلق على أشياء متغايرة بالعدد، متفقة في المعنى الذي وضع الاسم عليها، كالرجل: ينطلق على زيد، وعمرو، والجسم: ينطلق عليهما وعلى السماء والأرض، لاتفاقهما في معنى الجسمية.

---

(١) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي ص٣٩ بتصرف.

(٢) ينظر نهاية الوصول في دراية الأصول لصفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي ج٥ ص١٨٠٦،البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٥ ص٦٣، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ج٢ ص١٦.

(٣) نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي ج٢ ص٦٠٣.

(٤) تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي ج١ ص٤٠٢.

وأما المشترك: فهو اللفظ الذي يطلق على مسميات مختلفة بالحقيقة، كالعين للعضو الناظر، والذهب.(١)

والسياق له دور مهمٌ في إزالة الإجمال الناتج عن التواطئ ومن الأمثلة التي تدلل على ذلك ما يلي:

لفظ الإنسان الوارد في مواضع عديدة من القرآن، فإنه من المتواطئ كما تقدم، والسياق في كل موضع من هذه المواضع يبين ويحدد المراد به، فالإنسان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ (الحجر:٢٤)، ليس المراد به عموم الإنسان وإنما المراد به آدم (عليه السلام) بدليل قرينة السياق في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الحجر:٢٨ ــ٣٣)، فهذه الآيات تكشف وتبين أن المراد بالإنسان في الآية الأولى هو آدم (عليه السلام)، وعلى ذلك إجماع المفسرين كما ذكر الإمام الرازي (رحمه الله) حيث قال: "ثبت بالدلائل القاطعة أنه يمتنع القول بوجود حوادث لا أول لها، وإذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث إلى حادث أول هو أول الحوادث، وإذا كان كذلك فلا بد من انتهاء الناس إلى إنسان هو أول الناس، وإذا كان كذلك فذلك الإنسان الأول غير مخلوق مع الأبوين فيكون مخلوقا لا محالة بقدرة الله تعالى. فقوله: ولقد

(١) روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة ج١ ص٧٣ بتصرف.

خلقنا الإنسان إشارة إلى ذلك الإنسان الأول، والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه هو آدم (عليه السلام)".[١]

كما لعب السياق دورًا مهمًا في بيان المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ (الإنسان: ١) حيث اختلف المفسرون في المراد بالإنسان في الآية الكريمة على قولين:

أحدهما: آدم (عليه السلام)، وقد روي هذا القول عن قتادة[٢] وقال به من المفسرين كل من الأئمة الطبري، والسمرقندي، وابن أبي زمنين، والبغوي، والكرماني، وابن عطية. [٣]

الثاني: أن المراد بالإنسان جنس الإنسان من أبناء آدم (عليه السلام)، وقد قال بهذا القول من المفسرين كل من الأئمة: الزمخشري، والرازي، وابن جزي، والألوسي، والقاسمي، والطاهر بن عاشور.[٤]

والأليق بنظم الآية وسياقها هو القول الثاني، وذلك لما يلي:

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج١٩ ص١٣٧.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٣ ص٥٢٩ عن قتادة بإسناد حسن. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج٤ ص٥٧٠.

(٣) ينظر (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٣ ص٥٢٩، بحر العلوم للسمرقندي ج٣ ص٥٢٥، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ج٥ ص٦٩، معالم التنزيل للبغوي ج٨ ص٢٨٩، لباب التفسير ص٣٤٦٠، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٥ ص٤٠٨٩).

(٤) ينظر (الكشاف للزمخشري ج٥ ص٤٠٨، مفاتيح الغيب للرازي ج٣٠ ص٧٣٩، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٣٦، روح المعاني للألوسي ج١٥ ص١٦٧، محاسن التأويل للقاسمي ج٩ ص٣٧٣، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٩ ص٣٧٢).

أولًا: أن الله (ﷻ) قال عقب هذه الآية: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢**﴾ (الإنسان:٢)، فأعاد ذلك الإنسان مرة أخرى معرفة فلا يفترقان.

قال الإمام الألوسي (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ والمعنى هنا قد أتى أو هَلْ أَتى عَلَى جنس الْإِنْسانِ...، وقيل المراد بالإنسان آدم (عليه السلام) وأيد الأول بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ**﴾ فإن الإنسان فيه معرفة معادة فلا يفترقان كيف وفي إقامة الظاهر مقام المضمر فضل التقرير والتمكين في النفس فإذا اختلفا عمومًا وخصوصًا فاتت الملايمة".[١]

ثانيًا: أن مقصد الآية الكريمة تحقير الإنسان في أصله حيث كان معدومًا ولم يكن شيئًا مذكورًا، وأنه خلق بعد من نطفة من ماء مهين اختلط فيه ماء الرجل بماء المرأة، وذلك ليتفكر هذا المخلوق الضعيف في خلقه ويسلم التسليم الكامل أن الله (ﷻ) قادر على إعادته وبعثه بعد موته.

يقول الإمام ابن الزبير الغرناطي (رحمه الله): قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١**﴾؛ تعريف للإنسان بحاله وابتداء أمره ليعلم أن لا طريق له للكبر واعتقاد السيادة لنفسه وأن لا يغالطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية والاعتناء الإلهي والتكرمة، فيعتقد أنه يستوجب ذلك ويستحقه".[٢]

---

(١) روح المعاني للألوسي ج١٥ ص١٦٧.

(٢) البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي ص٣٥٣.

ثالثًا: أن الله (ﷻ) أخبر في الآية التالية لهذه الآية أنه خلق الإنسان في هذه الدار ليبتليه ويختبره، وهذا الأمر خاص ببني آدم وذلك لأن آدم (عليه السلام) قد انتهى أمره إلى الطاعة وقبول توبته كما قال (ﷻ): ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ (البقرة:٣٧).

يقول الشيخ عطية سالم: "ولفظ الإنسان في ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، قيل: هو الإنسان الأول آدم (عليه السلام) ...، وقيل: هو عموم الإنسان من بني آدم..، ولفظ الإنسان الثاني في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾، اتفقوا على أنه عام في بني آدم؛ لأنه هو الذي خلق من نطفة أمشاج أخلاط، وقد رجح الفخر الرازي[1] أن لفظ الإنسان في الموضعين بمعنى واحد، وهو المعنى العام؛ ليستقيم الأسلوب بدون مغايرة بين اللفظين إذ لا قرينة مميزة.

ولعل في السياق قرينة تدل على ما قاله، وهي أن قوله تعالى: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ قطعا لبني آدم؛ لأن آدم (عليه السلام) انتهى أمره بالسمع والطاعة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ (البقرة:٣٧)، ولم يبق مجال لابتلائه، إنما ذلك لبنيه".[2]

كما كشف السياق كذلك عن المراد بالإنسان في قوله تعالى: ﴿* وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعۡمَةٗ مِّنۡهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدۡعُوٓاْ إِلَيۡهِ مِن قَبۡلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨﴾ (الزمر: ٨) هو الإنسان الكافر وليس عموم الإنسان واستدلوا على ذلك بالسياق حيث إن الله (ﷻ) وصفه في آخر الآية باتخاذ

(١) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج٣٠ ص٧٣٩.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٢٧٨، ط: دار الفكر.

الأنداد لله تعالى وهذا الفعل لا يقوم به إلا كافر، ثم إن الله (ﷻ) نعته بالكفر، وأخبر أنه من أهل النار.

قال الإمام ابن عطية (رحمه الله): "قوله (ﷻ): ﴿**وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا ...الآية**﴾ الْإِنْسانَ في هذه الآية يراد به الكافر بدلالة ما وصفه به آخرا من اتخاذ الأنداد لله تعالى، وقوله: ﴿**تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا**﴾.[1]

رابعا: بيان المجمل بسبب التصريف[2]

التصريف في اللغة: التحويل والتغيير ومنه قوله تعالى: ﴿**وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ**﴾ (البقرة:١٦٤) أي صرفها من جهة إلى جهة.[3]، وفي الاصطلاح: علم بأصول يعرف بهَا أَحْوَال أبنية الْكَلم الَّتِي لَيست بإعراب[4].

وفي شرح الشافية: "علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام وإمالة، وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك".[5]

والتصريف في اللفظ سبب من أسباب الإجمال في المعنى، حيث إن هناك بعض الكلمات تحتمل في اشتقاقها وتصريفها أكثر من مادة، ولكل مادة معنى،

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٤ ص٥٢١.

(٢) ينظر هذا السبب في (المستصفى للغزالي ص١٩٠، روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين بن قدامة المقدسي ج١ ص٥١٨، شرح المعالم في أصول الفقه لابن التلمساني ج١ ص٥٠٩، شرح مختصر أصول الفقه لتقي الدين أبي بكر بن زايد الجراعي المقدسي ج٣ ص٣٥، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران ص٢٦٤).

(٣) ينظر لسان العرب لابن منظور ج٩ ص١٨٩، مادة صرف.

(٤) الشافية في علم التصريف لابن الحاجب ج١ ص٦.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي ج١ ص٧.

وهذا بدوره يؤدي إلى الإجمال في معناها، وهذا الإجمال يحتاج إلى بيان، وهنا يجيء دور السياق حيث في إزالة هذا الإجمال، وبيان المعنى المراد من هذه الكلمة.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- لفظ ﴿تُوعَدُونَ﴾ في قوله تالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ (الذاريات: ٥)، محتمل لأن يكون مشتقًا من الوعد، فيكون مضارعًا للفعل وعد، ومحتمل كذلك لأن يكون من الوعيد أو الإيعاد وأنه مضارع للفعل أوعد.(١)

والسياق يرجح كونه من الوعيد، وذلك لأن المقصود من الآية الكريمة كما هو ظاهر من سياقها التخويف والتهويل، كما أن الآيات الكريمة في خطاب الكفار، وهو ما يؤيد كونه من الوعيد.

قال الإمام الألوسي (رحمه الله): "و (ما) موصولة والعائد محذوف أي إن الذي توعدونه، أو توعدون به، ويحتمل أن تكون مصدرية أي إن وعدكم، أو وعيدكم إذ توعدون يحتمل أن يكون مضارع وعد، وأن يكون مضارع أوعد، ولعل الثاني أنسب لقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ (ق: ٤٥)، ولأن المقصود التخويف والتهويل، وعن مجاهد أن الآية في الكفار وهو يؤيد الوعيد ومعنى صدقه تحقق وقوعه".(٢)

وقال الإمام الطاهر بن عاشور (رحمه الله): "و (ما) من قوله: إنما توعدون موصولة، أي إن الذي توعدونه لصادق، والخطاب في توعدون للمشركين كما

(١) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص١٧٢، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ج٥ ص٢٩٧، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج٩ ص٥٤٩.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج١٤ ص٥.

هــو مقتضى التأكيد بالقسم وكما يقتضيه تعقيبه بقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾ (الذاريات: ٨)، فيتعين أن يكون توعدون مشتقا من الوعيد الذي ماضيه (أوعد)".[١]

٢- لفظ ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ (الإسراء: ٦٠)، محتمل لأن تكون رؤيةً بصرية، ومحتمل لأن تكون كذلك رؤيا منامية وذلك لأن لفظ "الرؤيا" يأتي مصدرًا للفعل: "رأى" مرادًا به الرؤية البصرية، ومرادًا به كذلك الرؤيا المنامية، فيقال في الرؤية البصرية رأى رؤيا، ورأى رؤية، ويقال في المنامية فقط رأى رؤيا.

ففي لسان العرب[٢] لابن منظور: "ورأى في منامه رؤيا، على فعلى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤى، وقد جاء الرؤيا في اليقظة قال الراعي: فكبر للرؤيا وهش فؤاده، وبشر نفسًا كان قبل يلومها، وعليه قول أبي الطيب:

ورؤياك أحلى في العيون عن الغمض.[٣]

ولما كانت الرؤيا في الآية الكريمة محتملة للقولين السابقين نجد أن المفسرين اختلفوا في تفسيرها وبيان المراد بها على قولين رئيسين:

أحدهما: أن المراد بالرؤيا الرؤية البصرية، وهي ما رأى النبي (ﷺ) ليلة المعراج من العجائب والآيات، وكانت رؤيا عين أُريها النبي (ﷺ)، وقد روى هذا القول عن جماعة من السلف[٤] منهم ==

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٦ ص٣٣٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج١٤ ص٢٩٨، مادة: رأي.

(٣) البيت قاله أبو الطيب المتنبي وهو في يدوانه، ينظر ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبــري ج٢ ص٢١٩.

(٤) ينظر تفسير جامع البيان للطبري ج١٤ ص٦٤١ ــ ٦٤٥.

==ابن عباس (رضي الله عنهما).[1]

الثاني: أن الرؤيا في الآية الكريمة منامية وليست بصرية والمراد بها رؤيا رسول الله (ﷺ) في منامه أنه أُسري به إلى بيت المقدس، ثم عُرج به إلى السموات العلى، وما رآه رسول الله (ﷺ) أثناء ذلك من المشاهد المختلفة، وهذا مبني على أن الإسراء والمعراج كان منامًا وأن النبي (ﷺ) أسري بروحه فقط، لا بروحه وجسده.

وهناك أقوال أخرى تذكر أن الرؤيا في الآية الكريمة منامية، لكنها تفسرها بأقوال أخرى، وهي أقوال ضعيفة لهذا أعرضت عن ذكرها.[2]

والسياق يرجح أن الرؤيا في الآية الكريمة بصرية، وليست منامية، وذلك لأن الله (عز وجل) أخبر أنه جعل هذه الرؤيا ﴿فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ وهذا إنما يصلح فقط للرؤية البصرية، "إذ أنها لو كانت رؤيا منام لما كانت فتنة، ولا سبباً لتكذيب قريش، لأن رؤيا المنام ليست محل إنكار، لأن المنام قد يرى فيه ما لا يصح. فالذي جعله الله فتنة هو ما رآه بعينه من الغرائب والعجائب. فزعم المشركون أن من ادعى رؤية ذلك بعينه فهو كاذب لا محالة، فصار فتنة لهم".[3]

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج ج٣ ص١٤١٢، برقم (٣٦٧٥) عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: "قوله تعالى: {وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}. هي رؤيا عين، أريها رسول الله (ﷺ) ليلة أسري به إلى بيت المقدس".

(٢) ينظر هذه الأقوال في جامع البيان للطبري ج١٤ ص٦٤٥،٦٤٦، النكت والعيون للماوردي ج٣ ص٢٥٣، زاد المسير لابن الجوزي ج٣ ص٣٤، مفاتيح الغيب للرازي ج٢٠ ص٣٦٠.

(٣) ما بين العلامتين من أضواء البيان للشنقيطي ج٣ ص٤٦٨.

٣- لفظ: ﴿حَصُورًا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ على وزن فعول، وفعول في لغة العرب تارة يأتي بمعنى فاعل، وهذا يستوي فيه المذكر والمؤنث في سقوط التاء فيقال: "رجلٌ صَبُورٌ، وشَكُورٌ، وضروب، وامرأةٌ صَبور، وشكورٌ، وضروبٌ بمعنى صابرٍ، وصابرةٍ، وشاكرٍ، وشاكرةٍ، وضاربٍ، وضاربةٍ".(١)

وتارة أخرى يأتي بمعنى مفعول، وهذا تلحق مؤنثه التاء، فيقال: "ناقة حلوبة، أي محلوبة، ومنه قول الشاعر: فيها اثنتان وأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً ... سُودًا كخافِيَةِ الغُرابِ الأَسْحَمِ(٢)

كما يقال للشاة التي يسمنها الراعي لنفسه: هذه أكولة الراعي بمعنى مأكولة، ويقال ركوبة بمعنى مركوبة.(٣)

وبناء على ذلك فـ ﴿حَصُورًا﴾ في الآية الكريمة يحتمل وجهين:

أحدهما: أن حصورًا في الآية الكريمة فعول بمعنى مفعول، فهو حصور بمعنى محصور وهو الذي لا يأتي النساء أو لا يقرب النساء لكونه عنينًا لا يأتي النساء.

---

(١) ما بين العلامتين من شرح المفصل لابن يعيش ج٢ ص٢٤٥.

(٢) هذا البيت قاله عنترة بن شداد في معلقته. يُنظر ديوانه ص٨٠.

(٣) ينظر شرح المفصل لابن يعيش ج٢ ص٢٤٥، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي ج٣ ص١٣٥٤، المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) لأبي إسحاق الشاطبي ج٦ ص٣٦١ بتصرف.

الثاني: أن حصورًا في الآية فعول بمعنى فاعل، فهو حصور بمعنى حاصر، والمراد به أنه الذي يحصر نفسه عن النساء والشهوات مع القدرة لأجل عفته واجتهاده في إزالة الشهوة.

والسياق يرجح القول الثاني، وأن حصورًا في الآية فعول بمعني فاعل، وذلك لأن السياق سياق ثناء ومدح ليحيى (عليه السلام)، فقد مدحه الله (عز وجل) ووصفه في الآية الكريمة بصفات، فوصفه بأنه مصدق بكلمة من الله، والمراد تصديقه بعيسى ابن مريم (عليه السلام) في قول أكثر المفسرين، كما وصفه بأنه سيد قد ساد قومه في العلم والشرف، وبأنه نبي من الصالحين، والصفات المذكورة كلها صفات حميدة جليلة، فكيف يأتي خلالها صفة هي إلى الذم أقرب منها إلى المدح، لهذا يترجح أن الحصور في الآية الكريمة معناه: أنه الذي لا يقرب النساء مع القدرة حصرًا لنفسه أي منعًا لها عن الشهوات عفة وزهدا واجتهادا في الطاعة.

قال الإمام القرطبي (رحمه الله): "(وحصورا) أصله من الحصر وهو الحبس، حصرني الشيء وأحصرني إذا حبسني،...، فيحيى (عليه السلام) حصور، فعول بمعنى مفعول لا يأتي النساء، كأنه ممنوع مما يكون في الرجال، وفعول بمعنى مفعول كثير في اللغة، من ذلك حلوب بمعنى محلوبة، قال الشاعر:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ** سودا كخافية الغراب الأسحم.

وقيل: هو الذي يكف عن النساء ولا يقربهن مع القدرة. وهذا أصح الأقوال لوجهين: أحدهما: أنه مدح وثناء عليه، والثناء إنما يكون عن الفعل المكتسب دون الجبلة في الغالب ... فالمعنى أنه يحصر نفسه عن الشهوات".[1]

(١) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٤ ص٧٧،٧٨ بتصرف.

خامسا: بيان المجمل بسبب الإبهام(١)

من أسباب الإجمال في المفردات الإبهام، وذلك لأن الإبهام قد يسبب خفاءً في المعنى.

والإبهام أعم من الإجمال كما ذكر ذلك الشنقيطي (رحمه الله) حيث قال: "واعلم أن المبهم أعم من المجمل عمومًا مطلقًا، فكل مجمل مبهم، وليس كل مبهم مجملًا، فمثل قولك لعبدك: تصدق بهذا الدرهم على رجل، فيه إبهام وليس مجملًا، لأن معناه لا إشكال فيه، لأن كل رجل تصدق عليه به حصل به المقصود".(٢)

وقد وقع الإبهام في القرآن في مواضع تارة في المفردات وتارة في التراكيب والجمل، وكان ذلك سببًا في إجمال المعنى واختلاف المفسرين فيه، وكان السياق أحد الطرق التي استند إليها المفسرون في تعيين هذا المبهم، وإزالة الإجمال عنه.

ومن أمثلة وقوع الإبهام في المفردات الإبهام في اسم الجنس مفردًا كان أو مجموعًا، ومن أمثلة ذلك في اسم الجنس المفرد كلمة ﴿جُزْءًا﴾ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ (الزخرف: ١٥) فقد اختلف المفسرون في المراد بالجزء الوارد في الآية الكريمة على أقوال:

أحدها: أن المراد بالجزء العدل والمثل والنظير، وهو قول قتادة (رحمه الله).(٣)

الثاني: أن المراد بالجزء النصيب، وهو قول قطرب.(٤)

---

(١) ذكر الإبهام كسبب من أسباب الإجمال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان ج١ ص١٤.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ج١ ص٣٩.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٠ ص٥٦١ عن قتادة بإسناد حسن. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٤ ص٢٩٩.

(٤) نسب هذا القول لقطرب الإمام الماوردي في تفسيره النكت والعيون ج٥ ص٢١٩.

الثالث: أن المراد بالجزء الولد، والإناث خاصة، وهو قول مجاهد (رحمه الله).[1]

وقد "أطلق على الولد اسم الجزء؛ لأن الفرع كأنه جزء من أصله، والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى".[2]

وقد قال (ﷺ) عن فاطمة (رضي الله عنها): "فاطمة بضعة مني".[3]

والسياق يرجح هذا القول الأخير أن المراد بالجزء الولد والمراد به في الآية الكريمة خصوص الإناث وذلك لأن الله (عز وجل) أنكر ما جعلوه جزءًا عقب هذه الآية فقال: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦﴾ (الزخرف:١٦) فدل ذلك على أن المراد بالجزء في الآية البنات.

يقول الشنقيطي (رحمه الله): "والوجه الثاني – وهو التحقيق إن شاء الله –: أن المراد بالجزء في الآية الولد، وأنه أطلق عليه اسم الجزء؛ لأن الفرع كأنه جزء من أصله، والولد كأنه بضعة من الوالد كما لا يخفى.

وأما كون المراد بالولد المعبر عنه بالجزء في الآية خصوص الإناث فقرينة السياق دالة عليه دلالة واضحة؛ لأن جعل الجزء المذكور لله من عباده هو بعينه الذي أنكره الله إنكارًا شديدًا، وقرَّع مرتكبه تقريعًا شديدًا في قوله تعالى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٠ ص٥٦١ عن مجاهد بإسناد صحيح. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٤ ص٢٩٩.

(٢) ما بين العلامتين من أضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٢٣١.

(٣) جزء من حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله (ﷺ)، ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي (ﷺ) ج٣ ص١٣٦١، برقم (٣٥١٠)، عن المسور بن مخرمة مرفوعًا بلفظ: "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني".

بعده: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا﴾ إلى قولـــه: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨﴾ (الزخرف:١٦ ــ١٨)".[١]

ومن أمثلة وقوع الإبهام في اسم الجنس المجموع: كلمة ﴿ بُيُوتٍ﴾ في قوله سبحانه: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ (النور:٣٦)، فقد اختلف المفسرون في المراد بالبيوت في الآية الكريمة على أقوال:

أحدها: أن المراد بها عموم المساجد، وهو قول ابن عباس (ﷺ) [٢]، ومجاهد[٣] وغير واحد من السلف.[٤]

الثاني: أن المراد بها الكعبة وبيت المقدس ومسجد الرسول (ﷺ) ومسجد قباء، وهو قول ابن بريدة.[٥]

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص٢٥٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٧ ص٣١٦عن ابن عباس بإسناد حسن. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين ج٣ ص٤٧٣.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٧ ص٣١٦ عن مجاهد بإسناد صحيح. ينظر الصحيح المسبور ج٣ ص٤٧٣.

(٤) ينظر جامع البيان عن تفسير القرآن للطبري ج١٧ ص٣١٥ ــ ٣١٧.

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ج٨ ص٢٦٠٤، برقم (١٤٧٢٨) عنه بإسناد ضعيف، فيه صالح بن حيان القرشي: ضعفه ابن معين، وقال مرة: ليس بذاك. (ينظر ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ج٢ ص٢٩٢)، وقال البخاري: فيه نظر (ينظر التاريخ الكبير للبخاري ج٤ ص٢٧٥)، وقال ابن حجر في (التقريب ص٢٧١) ضعيف.

الثالث: أن المراد بها البيوت كلها وهو قول عكرمة.(١)

الرابع: أن المراد بها بيوت النبي (ﷺ)، وهو قول مجاهد أيضًا.(٢)

الخامس: أن المراد بها بيوت الأنبياء، وقد روى الثعلبي في هذا حديثًا مرفوعًا إلى النبي (ﷺ) يرويه عنه أنس وبريدة (رضي الله عنهما) قالا: قرأ رسول الله (ﷺ) هذِه الآية: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ إلى قوله ﴿وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧ ﴾ (النور: ٣٦، ٣٧) فقام رجل فقال: أي بيوت هذِه يا رسول الله؟

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ج١٧ ص٣١٧ عن عكرمة. بإسناد صحيح رجاله ثقات. فالراوي عن عكرمة هو إسماعيل بن أبي خالد الكوفي وهو ثقة حافظ. (ينظر الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي ج١ ص٢٤٥)، وقد ذكره العجلي في الثقات وقال: "كوفي تابعي ثقة" (ينظر الثقات للعجلي ص٥٠٧)، وعن إسماعيل روى حكام بن سلم وهو ثقة (ينظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج٢ ص٤٢٢، ٤٢٣)، وعن حكام روى نصر بن عبد الرحمن الأودي قال عنه النسائي ثقة (ينظر مشيخة النسائي ص١٠٢)، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت عنه أبي فقال "هو كوفى وهو شيخ رأيته يحفظ ما يحدث" (ينظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٨ ص٤٧٢)، وعن نصر روى الإمام الطبري (رحمه الله).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد بإسناد ضعيف فيه ليث بن أبي سليم قال عنه يحيى بن معين والنسائي ضعيف. (ينظر الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ج٧ ص٢٣٣)، وذكره ابن حبان في المجروحين ج٢ ص٢٣٧ رقم (٩٠٣) وقال عنه: "وكان من العباد، ولكن اختلط في آخر عمره حتى كان لا يدري ما يحدث به، فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات ما ليس من أحاديثهم، كل ذلك كان منه في اختلاطه، تركه يحيى القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين (رحمهم الله)".

قال: "بيوت الأنبياء". قال: فقام إليه أبو بكر(ﷺ)ــ فقال: يا رسول الله هذا البيت منها ــ لبيت علي وفاطمة؟ قال: "نعم من أفاضلها".(١)

السادس: أنها بيوت بيت المقدس، وهو قول الحسن.(٢)

والسياق يرجح القول الأول من هذه الأقوال أن المراد بها المساجد، حيث إن الوصف الذي ذُكر بعدها في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ (النور:٣٦،٣٧) يدل على أنها بيوت بنيت للصلاة والعبادة وهي تلائم المساجد بعمومها.

يقول الإمام الرازي (رحمه الله): "أكثر المفسرين قالوا المراد من قوله: في بيوت المساجد وعن عكرمة في بيوت قال هي البيوت كلها والأول أولى لوجهين: الأول: أن في البيوت ما لا يمكن أن يوصف بأن الله تعالى أذن أن

(١) رواه الثعلبي في تفسيره ج١٩ ص٢٧٣،٢٧٤ من طريق إبان بن تغلب عن أنس بن مالك وبريدة (رضي الله عنهما)، وهو حديث موضوع لم يثبت عن النبي (ﷺ). فيه نفيع بن الحارث وهو متروك وضاع، ذكره ابن حبان في المجروحين ج٣ ص٥٥ وقال: (نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى القاص الهمداني من أهل الكوفة يروي عن بريدة الأسلمي وأنس بن مالك، كان ممن يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات توهما لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه)، وذكره أبو نعيم في الضعفاء ص١٥٢ وقال: (نفيع بن الحارث أبو داود الأعمى روى عن أنس والبراء وزيد بن أرقم وبريدة أحاديث منكرة)، وقال عنه ابن عبد البر: (واتفق أهل العلم بالحديث على نكارة حديثه وضعفه، وكذّبه بعضهم، وأجمعوا على ترك الرواية عنه، وليس عندهم بشئ). (ينظر الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى ج١ ص٦٠٤، رقم (٦٧٠).

(٢) نسب هذا القول إلى الحسن الإمام القرطبي (رحمه الله) في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج١٢ ص٢٦٥.

ترفع الثاني: أنه تعالى وصفها بالذكر والتسبيح والصلاة وذلك لا يليق إلا بالمساجد ثم للقائلين بأن المراد هو المساجد قولان: أحدهما: أن المراد أربع مساجد الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، وبيت المقدس بناه داود وسليمان (عليهما السلام)، ومسجد بناه النبي (ﷺ) ومسجد قباء الذي أسس على التقوى بناه النبي (ﷺ) وعن الحسن هو بيت المقدس يسرج فيه عشرة آلاف قنديل والثاني: أن المراد هو جميع المساجد والأول ضعيف لأنه تخصيص بلا دليل فالأول حمل اللفظ على جميع المساجد، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض".[1]

وقد قال بهذا القول كل من الأئمة: الطبري، السمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، وابن عطية، والقرطبي، والبيضاوي، والشوكاني، والطاهر بن عاشور، والشنقيطي، وأكثر المفسرين.[2]

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج٢٤ ص٣٩٦.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج١٧ ص٣١٧، بحر العلوم للسمرقندي ج٢ ص٥١٤، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ج١٩ ص٢٧٥، التَّفْسِيرُ البَسِيْط للواحدي ج١٦ ص٢٩١، تفسير القرآن للسمعاني ج٣ ص٥٣٤، المحرر الوجيز لابن عطية ج٤ ص١٨٥، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٢ ص٢٦٦، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٤ ص١٠٨، فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٤، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج١٨ ص٢٤٨، أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص٢٥٣، وقد نسب هذا القول إلى أكثر المفسرين الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ج١٩ ص٢٧٠ والرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ج٢٤ ص٣٩٦.

سادسا: بيان المجمل بسبب احتمال الفعل للتعدي واللزوم[1]

يوجد أفعال في اللغة العربية صالحة للتعدي واللزوم، فتأتي تارة متعدية، وتارة لازمة، ويختلف معناها بحسب ذلك، فيكون هذا سببًا لإجمال المعنى، ويؤدي السياق دورًا مهمًا في تحديد كونها لازمة أو متعدية، فيتحدد معناها، ويزول الإجمال عنها.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- الفعل "صد" يستعمل تارة متعديًا، ويكون مصدره "الصد"، ويستعمل تارة أخرى لازمًا، ويكون مصدره الصدود.

جاء في مفردات الراغب الأصفهاني: "الصُّدُودُ والصَّدُّ قد يكون انصرافا عن الشّيء وامتناعا، نحو: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ (النساء:٦١)، وقد يكون صرفا ومنعا نحو: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (النمل: ٢٤)، ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ﴾ (القصص:٨٧)، إلى غير ذلك من الآيات، وقيل: صَدَّ يَصُدُّ صُدُوداً، وصَدَّ يَصُدُّ صَدّاً".[2]

وهو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ (النساء:١٦٧) محتمل للأمرين السابقين، فيحتمل أن يكون متعديًا بمعنى المنع، ويحتمل أن يكون لازمًا بمعنى الإعراض، وسباق الآية الكريمة يرجح كونه متعديًا وليس لازمًا، وذلك لأن الله (ﷻ) أخبر عنهم في أول الآية أنهم كفروا به والكفر بطبيعته انصراف عن الحق وإعراض عن قبوله، لذا كان الأولى تفسير الصد في الآية الكريمة بمنع الغير عن سلوك سبيل الحق.

---

(١) ينظر القرائن وأثرها في التفسير للدكتور محمد زيلعي هندي ص١٠٩.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٧٧ بتصرف.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "والصد هنا في هذا النص الكريم بمعنى التعدي، فمعنى النص السامي، إن الذين جحدوا بالحق إذ جاءهم ولا يكتفون بانصرافهم عن الإذعان والإيمان، بل يصدون غيرهم، ويمنعونهم من الحق بإثارة الشبهات، وإيقاد الفتن بين المؤمنين، يوغلون في الضلال، ويسيرون في طريقه سيرًا بعيدًا.

ويتضمن ذلك المعنى أمورًا:

أولها: أن الكفر بطبيعته انصراف عن الحق وصدود عن طريقه، ولذلك فسرنا كلمة: ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بمعنى منع غيرهم من سلوك الأقوم والهادي إلى الحق الذي لَا ريب فيه، وإن الذي يصد غيره قد ابتدأ بصد نفسه، فالمضل لغيره هو في ذات نفسه ضال، فإن الإضلال من ثمرات الضلال، ولا يضل الناس إلا ضال، وقد ضل مرتين إحداهما بإنكاره للحق، والثانية بمحاولته إضلال غيره.

وثانيها: أن الضلال البعد عن الطريق المستقيم فمن ضل فقد بعد عن الحق، ومن أضل غيره فقد بعد عن الحق بمقدار أوسع، وهكذا كلما سار في التضليل وفتنة المهتدين، وإيذائهم وإثارة الشبهات بينهم فهو يسير موغلا في البعد عن الطريق المستقيم، وهذا معنى قوله قد ضلوا ضلالا بعيدا".(١)

وممن قال من المفسرين بتعدي الفعل وأن معناه منع الغير من قبول الحق الأئمة: الطبري، والراغب الأصفهاني، وأبو حفص النسفي، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وابن كثير، والحداد اليمني.(٢)

---

(١) زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة ج٤ ص١٩٧١.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٧ ص٦٩٥، تفسير الراغب الأصفهاني ج٤ ص٢٣٤، التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي ج٥ ص٢٦٦، مفاتيح الغيب للرازي ج١١ ص٢٦٩، الجامع لأحكام القرآن=

٢- الفعل "صدف" يستعمل تارة لازمًا بمعنى الإعراض، ويستعمل تارة أخرى متعديًا بمعنى الصد والمنع للغير، يقال صدف عن الشيء أعرض عنه، ويقال صدف عن الشيء صد غيره عنه.(١)

وهو في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (الأنعام: ١٥٧)، محتمل للأمرين السابقين، فيحتمل أن يكون متعديًا لمفعول محذوف والمعنى صد الغير ومنعه من اتباع آيات الله، ويحتمل أن يكون لازمًا بمعنى الإعراض، لكن السياق يرجح كونه متعديًا وليس لازمًا، وذلك لأن الله (ﷻ) صرح بإعراضهم في قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ إذ إذ لا إعراض أعظم من التكذيب، فدل ذلك على أن المراد بقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أنه صد غيره عنها فصار جامعاً بين الضلال والإضلال.

=للقرطبي ج٦ ص١٩، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٢ ص١٠، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج١ ص٤١٧، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص٤٢٤، كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني ج٢ ص٣٣٥.

(١) **يقول الإمام الطاهر بن عاشور** (رحمه الله): "يقال: صدف صدفا وصدوفا، إذا مال إلى جانب وأعرض عن الشيء. وأكثر ما يستعمل أن يكون قاصرا فيتعدى إلى مفعوله ب (عن)، وقد يستعمل متعديا كما صرح به في «القاموس» . وقل التعرض لذلك في كتب اللغة ولكن الزمخشري في تفسير قوله تعالى في أواخر هذه السورة سمحفَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ سجى [الأنعام: ١٥٧] قدر: وصدف الناس عنها، مع أنه لم يتعرض لذلك في الأساس ولا علق على تقديره شارحوه". (ينظر التحرير والتنوير ج٧ ص٢٣٦).

يقول الشنقيطي (رحمه الله): "قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۚ ...الآية**﴾ قال بعض العلماء: إن هذا الفعل أعني صدف في هذه الآية لازم، ومعناه أعرض عنها، وهو مروي عن ابن عباس(١) ومجاهد(٢)، وقتادة(٣).

وقال السدي: صدف في هذه الآية متعدية للمفعول، والمفعول محذوف، والمعنى أنه صد غيره عن اتباع آيات الله(٤)، والقرآن يدل لقول السدي؛ لأن إعراض هذا الذي لا أحد أظلم منه عنه آيات الله صرح به في قوله: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ**﴾ إذ لا إعراض أعظم من التكذيب، فدل ذلك على

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٠ ص١٠ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) بإسناد حسن. (ينظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج٢ ص٢٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٠ ص١٠ من طريق شبل بن عباد المكي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهو طريق صحيح ((ينظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج١ ص٥٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٠ ص١١ من طريق بشر بن معاذ العقدي، عن يزيد بن زريع، عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة، وهو طريق حسن. (ينظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج١ ص٥٠).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد ضعيف؛ فيه أسباط بن نصر الهمداني "ضعفه أبو نعيم وقال أحاديثه عامته سقط مقلوبة الأسانيد وسئل عنه أحمد فقال لا أدري وكأنه ضعفه". (ينظر الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ج١ ص٩٦)، وقال الإمام ابن حجر العسقلاني: "أسباط بن نصر الهمداني بسكون الميم أبو يوسف ويقال أبو نصر صدوق كثير الخطأ يغرب من الثامنة". (ينظر تقريب التهذيب ص٩٨).

أن المراد بقوله: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أنه صد غيره عنها فصار جامعاً بين الضلال والإضلال﴾".[1]

وممن قال من المفسرين بأن صدف متعد، وأن معناه الصد والمنع الأئمة: الرازي، والسمين الحلبي، وابن كثير، ونظام الدين النيسابوري، وأبو السعود.[2]

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٣٣٣.

(٢) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج١٤ ص١٨٧، الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ج٥ ص٢٣١، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٣٣٣، غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري ج٣ ص١٩١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج٣ ص٢٠٣.

المطلب الثاني:
أثر السياق القرآني في بيان المجمل من التركيب.

أولا: بيان المجمل بسبب الاشتراك في التركيب

الإجمال كما يكون في اللفظ المفرد كذلك يكون في المركب، ومن أسباب الإجمال في المركب الاشتراك.(١)

ومن أمثلة الاشتراك في المركب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحُ﴾ (البقرة:٢٣٧) فإنه مركب من اسم الموصول (الذي) وصلته، وهما محتملان لأن يراد بهما الزوج، أو الولي.

يقول الإمام القرافي (رحمه الله): "قد يكون الإجمال في المشترك؛ كالعين، والمختار للفاعل، والمفعول؛ والضدين؛ كالقرء، ولفظ مركب؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحُ ﴾، فإن جميع هذه الألفاظ مترددة بين الولي والزوج".(٢)

ولأجل كون ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحُ﴾ يطلق على المعنيين السابقين نجد أن المفسرين اختلفوا في تعيين المراد به في الآية الكريمة على قولين:

أحدهما: أن المراد به الزوج، وقد روي هذا القول عن جماعة من السلف(٣) وقال به أبو حنيفة والشافعي في الجديد وأحمد(٤)، ومن المفسرين مقاتل بن

---

(١) ينظر المستصفى للغزالي ص١٩٠، روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين بن قدامة ج١ ص٥١٧، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج٣ ص١٠، نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي ج٥ ص٢١٨٩.

(٢) نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي ج٥ ص٢١٨٩.

(٣) ينظر جامع البيان للطبري ج٤ ص٣٢٣ ــ ٣٣٢، تفسير ابن أبي حاتم ج٢ ص٤٤٥.

(٤) ينظر لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج١ ص١٧١،١٧٢.

سليمان، الطبري، والجصاص، والسمرقندي، والواحدي، والراغب الأصفهاني، ومحمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري، والنسفي، والخطيب الشربيني، والشوكاني.(١)

الثاني: أن المراد به ولي المرأة، وقال به ابن عباس(٢)، وإبراهيم النخعي(٣) وجماعة من السلف(٤)، وقال به مالك والشافعي في القديم(٥)، ومن المفسرين الزمخشري، وابن العربي، والفخر الرازي، والقرطبي، وابن عاشور.(٦)

---

(١) ينظر تفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٢٠٠، جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٤ ص٢٣٢، أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص١٥٢، بحر العلوم للسمرقندي ج١ ص١٥٦، التفسير البسيط للواحدي ج٤ ص٢٨٨، تفسير الراغب الأصفهاني ج١ ص٤٩١، إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم نجم الدين محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري ج١ ص١٥٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج١ ص١٩٩، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني ج١ ص١٥٥، فتح القدير ج١ص٢٩١.

(٢) أخرج الطبري في تفسيره ج٤ ص٣١٨، بإسناد حسن عن ابن عباس (ﷺ). قال: "أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح" (البقرة: ٢٣٧) وهو أبو الجارية البكر، جعل الله سبحانه العفو إليه، ليس لها معه أمر إذا طلقت ما كانت في حجره" (ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ج١ ص٣٥٨).

(٣) أخرج الطبري في تفسيره ج٤ ص٣٢٣ بإسناده عن إبراهيم النخعي قال: «الذي بيده عقدة النكاح، هو الولي»، وإسناد هذا الأثر صحيح. (ينظر إبراهيم النخعي وآثاره الواردة في تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران ص٣٠٤).

(٤) ينظر تفسير الطبري ج٤ ص٣١٧ ــ ٣٢٣.

(٥) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٤٨٧.

(٦) ينظر الكشاف للزمخشري ج١ ص٢٨٥، أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٢٩٥، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج٦ ص٤٨١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٣ ص٢٠٧، التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢ ص٤٦٣.

وقد استدل كل فريق لمذهبه وقوله بأدلة مبسوطة في كتب التفسير، والقول الثاني هو الأليق بنظم الآية وهو القول الذي يدل عليه ويرجحه السياق من عدة أوجه:

أولًا: أن الله تعالى قال في أول الآية: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧)، فذكر الأزواج وخاطبهم بهذا الخطاب، ثم قال: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ **فذكر النسوان** ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ فهذا ثالث؛ فلا يرد إلى الزوج المتقدم إلا لو لم يكن لغيره وجود، وقد وجد وهو الولي، فلا يجوز بعد هذا إسقاط التقدير بجعل الثلاث اثنين من غير ضرورة.(١)

وأيضًا "لو كان المرادُ بـــ ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو الزوج، لقال: أَوْ تَعْفُو على سبيل المخاطبةِ فلمَّا عبّر عنه بلفظ الغائب، علِمْنا الغائب، علِمْنا أَنَّ المرادَ منه غيرُ الأَزواج".(٢)

يقول ابن المنير السكندري (رحمه الله) في ترجيحه أن المراد بالذي بيده عقدة النكاح في الآية الولي: "وصدق الزمخشري أنه قول ظاهر الصحة، عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه: ... الخامس: أن صدر الآية خطاب للأزواج في قوله: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿فَرَضْتُمْ﴾ فلو جاء قوله: ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ مرادًا به الزوج لكان عدولًا والتفاتًا من الخطاب إلى الغيبة، وليس هذا من مواضعه، ولأجل هذا جاء قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ على صيغة الخطاب، لأن المراد به الأزواج لخطابهم أولا".(٣)

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٢٩٥.

(٢) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج٤ ص٢٢٢.

(٣) ينظر حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري مطبوعة بهامش الكشاف للزمخشري ج١ ص٢٨٥.

ثانيًا: أن هذا القول أنظم في الكلام، وأقرب إلى المرام؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾، ومعلوم أنه ليس كل امرأة تعفو، فإن الصغيرة أو المحجورة لا عفو لها، فبين الله تعالى القسمين، وقال: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ إن كن لذلك أهلا، ﴿أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾؛ لأن الأمر فيه إليه.(١)

ثالثًا: أن الله (ﷻ) عبر بالعفو في الآية الكريمة "والعفو إنما هو ترك ما يجب للعافي، هذا أصله في اللغة. وليس هو موضوعًا على إعطاء الرجل ما لا يلزمه فإضافته إلى الولي أولى به وأبين في الخطاب، لأنه ندب إلى أن يترك ما وجب لوليته.

ومن كلام العرب: "عفا ولي المقتول عن القاتل"، أي ترك له حقه من الدية. وليس يقال: "عفا القاتل"، إذا أعطى أكثر من الدية التي تلزمه ولو كان العافي الزوج يعطي الصداق كله، لكانت الترجمة عن هذا بالهبة أولى منه بالعفو لأنه إذا أعطى الصداق كله فهو واهب، وليس بعافٍ إنما العافي من يترك حقه، ليس هو من يهب ماله".(٢)

ثانيًا: بيان المجمل بسبب الإبهام في جملة الصلة(٣)

من أسباب الإجمال الإبهام في جملة الصلة، ويؤدي السياق دورًا مهمًا في إزالة هذا الإبهام، وبيان المراد بها، ورفع الإجمال عنها، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما يلي:

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج١ ص٢٩٦.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج١ ص٧٩٦.

(٣) ذكر هذا السبب الشنقيطي في تفسيره كأحد أسباب الإجمال (ينظر أضواء البيان ج١ ص١٥).

١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ من قوله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ (النساء: ٦٩) حيث أخبر الله (ﷻ) أنه من يطعه ــ سبحانه ــ ويطع الرسول (ﷺ) فهو في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم، لكن المنعم عليهم هؤلاء مبهمون مجهولون، وقد أزال السياق هذا الإبهام حيث قال سبحانه عقب هذا الجزء من الآية: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ فعَلِمنا أن المنعم عليهم هم هؤلاء الأصناف المذكورون في الآية الكريمة من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

قال الإمام السمين الحلبي (رحمه الله): "قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: فيه أربعة أوجه، أظهرها: أنه بيان للذين أنعم الله عليهم".[١]

وقال الإمام أبو السعود (رحمه الله): "﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للإشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه، ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ بيان للمنعم عليهم".[٢]

٢- قوله تعالى: ﴿مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ (الأحزاب:٣٧)، فقد أبهم في هذا الجزء من الآية هذا الذي أخفاه الرسول (ﷺ) في نفسه وأبداه الله (ﷻ)، ومن **هنا اختلف المفسرون في تفسيره وبيانه على قولين:**

أحدهما: أن الذي أخفاه الرسول (ﷺ) هو ما أوحاه الله (ﷻ) إليه من زواجه من زينب بنت جحش (رضي الله عنها) وكانت في ذلك الوقت تحت زيد بن حارثة (رضي الله عنه)،

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ج٤ ص٢٣.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ج٢ ص١٩٨.

حيث أوحى الله (ﷻ) إليه أن زيدًا سيطلق زينبًا وأنه (ﷺ) سيتزوجها من بعده، ولما جاء إليه زيد يشكو إليه زينبًا، أمره النبي (ﷺ) بإمساكها فقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وكان فعله (ﷺ) هذا مخافة من كلام الناس أن يقولوا: إن محمدًا قد تزوج زوجة ابنه بالتبني.

الثاني: أن الذي أخفاه الرسول (ﷺ) وأبداه الله، هو محبة زينب، ومحبة طلاقها من زيد، وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر في بعض الروايات رآها رسول الله (ﷺ) فأعجبته، ووقعت محبتها في قلبه، وهي تحت زيد مولاه وأراد فراقها لزيد، ولماء جاء إليه زيد يشكو منها قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ (الأحزاب: ٣٧) وهو (ﷺ) يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها، ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك.(١)

وفضلًا عن ضعف القول الثاني الذي لا يليق بالنبي (ﷺ) ولا يتماشى مع مقام النبوة والعصمة، فإن السياق يرشد إلى القول الأول ويدل عليه، وذلك لأن زواجه إياها هو الذي أبداه الله (ﷻ) في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ ولم يبد (ﷻ) شيئًا مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى.

قال الشنقيطي (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة: هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه، وهو أن الله أعلم نبيه (ﷺ) بأن زيدًا يطلق زينب، وأنه يزوجها إياه (ﷺ)،

(١) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج١٩ ص١١٥.

وهي في ذلك الوقت تحت زيد، فلما شكاها زيد إليه (ﷺ) قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فعاتبه الله على قوله: أمسك عليك زوجك بعد علمه أنها ستصير زوجته هو (ﷺ)، وخشي مقالة الناس أن يقولوا: لو أظهر ما علم من تزويجه إياها أنه يريد تزويج زوجة ابنه في الوقت الذي هي فيه في عصمة زيد.

والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدمنا من أن الله (ﷻ) قال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهذا الذي أبداه الله (ﷻ) هو زواجه إياها في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ ولم يبد (ﷻ) شيئًا مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر الثاني: أن الله (ﷻ) صرح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة الإلهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأدعياء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ .. الآية﴾، فقوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ تعليل صريح لتزويجه إياها لما ذكرنا".[1]

ثالثا: بيان المجمل بسبب استثناء المجهول

من أسباب الإجمال استثناء المجهول[2].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص٦٤١،٦٤٢.

(٢) ينظر المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين محمد بن علي الطيب البَصْري المعتزلي ج١ ص٢٩٩، البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني ج١ ص١٥٤، اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي ص٥٠، الإبهاج في شرح المنهاج لشيخ الإسلام علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ج٥=

يقول الإمام أبو المعالي الجويني (رحمه الله): "ومن وجوه الإجمال أن يكون اللفظ بحيث لو فرض الاقتصار عليه لظهر معناه ولكنه وصله باستثناء مجهول فانسحب حكم الجهالة على اللفظ كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (المائدة:١) وهذا لو قدر الاقتصار عليه لكان مفهوما عند من يدريه ثم قال: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فانعكس الإجمال على أول المقال".(١)

وسبب انعكاس الإجمال على أول المقال الذي ذكره الإمام الجويني: أن "الاستثناء بمنزلة وصف قائم بصدر الكلام فهما بمنزلة كلام واحد فيؤثر جهالة المستثنى في المستثنى منه".(٢)

ويقوم السياق بدور مهم في إزالة الإجمال الناتج عن استثناء المجهول، ومن الأمثلة التي تدلل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: **﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾** (المائدة:١)، من الآيات المجملة، وسبب ذلك كما تقدم في كلام إمام الحرمين استثناء المجهول، وذلك أنه سبحانه لما بين في صدر الجملة أنه أحل لنا بهمية الأنعام، ألحق به هذا الاستثناء المبهم المجهول فقال: **﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾** والمستثنى في الآية الكريمة مجهول فأثرت جهالته في المستثنى منه وهو **﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾** وصار ما أحل الله لنا منها مجهولًا، إلا أن هذا الإجمال

=ص١٥٧٤، نهاية السول شرح منهاج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ ص٢٢٦.

(١) البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي الجويني ج١ ص١٥٤.

(٢) ما بين العلامتين من تيسير التحرير على كتاب (التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية لكمال الدين ابن همام الدين الإسكندري) لمحمد أمين المعروف بأمير بادشاه الحسيني الحنفي الخراساني البخاري المكي ج١ ص٣١٤.

قد رُفع بطريق السياق حيث ذكر الله (ﷻ) بعد هذه الآية ما يبين به الاستثناء المجهول ويرفع جهالته في قوله ــ سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ...الآية﴾ (المائدة:٣)، ورفع الجهالة عن الاستثناء يرفع الإجمال عن الآية، ويصبح معناها: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ إلا إن كانت ميتة أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو افترسها سبع أو ذبحت لغير الله تعالى.

قال الإمام الرازي (رحمه الله): "واعلم أنه تعالى لما ذكر قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ألحق به نوعين من الاستثناء: الأول: قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ واعلم أن ظاهر هذا الاستثناء مجمل، واستثناء الكلام المجمل من الكلام المفصل يجعل ما بقي بعد الاستثناء مجملًا أيضا، إلا أن المفسرين أجمعوا على أن المراد من هذا الاستثناء هو المذكور بعد هذه الآية وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ (المائدة: ٣) ووجه هذا أن قوله أحلت لكم بهيمة الأنعام يقتضي إحلالها لهم على جميع الوجوه فبين الله تعالى أنها إن كانت ميتة، أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو افترسها السبع أو ذبحت على غير اسم الله تعالى فهي محرمة".(١)

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (النمل:٨٧) من الآيات المجملة وسبب ذلك استثناء المجهول، وذلك أنه لما بين سبحانه في صدر الآية الكريمة

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج١١ ص٢٧٨.

أنه عند النفخ في الصور يفزع من في السماوات ومن في الأرض من الخلائق، ألحق به هذا الاستثناء وهو قوله (ﷻ): ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ والمستثنى في الآية الكريمة مجمل مجهول فأثرت جهالته في المستثنى منه وهو من في قوله: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فصار من يفزع عند النفخ ومن لا يفزع مجهولًا مجملًا، والإجمال في الآية الكريمة قد رُفع بطريق السياق حيث ذكر الله (ﷻ) بعد هذه الآية ما يبين به الاستثناء المجهول ويرفع جهالته في قوله سبحانه: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (النمل:٨٩).

قال الإمام الطاهر بن عاشور (رحمه الله) عند تفسيره للآية الكريمة: "والاستثناء مجمل يبينه قوله تعالى بعد ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (النمل: ٨٩) وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ (الأنبياء: ١٠١- ١٠٣) وذلك بأن يبادرهم الملائكة بالبشارة. قال تعالى: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنبياء: ١٠٣) وقال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (يونس:٦٤)".[١]

وقال الإمام الشنقيطي (رحمه الله): "فالفزع من صعقة يوم ينفخ في الصور عام لجميع من في السماوات ومن في الأرض، ولكن استثنى الله من شاء، ثم بين تعالى هؤلاء المستثنين ومن يبقى في الفزع، فبين الآمنين وهم من جاء بالحسنة، والآخرون من جاء بالسيئة".[٢]

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٠ ص٤٦.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ج٨ ص٣٦٤، ط: دار الفكر.

رابعًا: بيان المجمل بسبب الاحتمال في مرجع الضمير

من أسباب الإجمال في التركيب الاحتمال في مرجع الضمير، وذلك إذا تعدد ما يحتمل أن يكون هذا الضمير راجعًا إليه، بأن يتقدم عليه أمران يصلح كل منهما أن يكون مرجوعًا له.

يقول الإمام الزركشي (رحمه الله): "والثاني: أن يكون اللفظ مجملا في تركيبه، وهو أنواع: ... منها: في مرجع الضمير إذا تقدمه أمران يصلح لكل واحد منهما".(١)

وفي إرشاد الفحول للشوكاني: "الإجمال كما يكون في الأسماء على ما قدمنا، يكون في الأفعال كـ عسعس بمعنى أقبل، وأدبر، ويكون في الحروف كتردد الواو بين العطف والابتداء. وكما يكون في المفردات يكون في المركبات .... ويكون أيضا في مرجع الضمير إذا تقدمه أمران، أو أمور يصلح لكل واحد منها".(٢)

والسياق أحد الأمور التي يُزال بها الإجمال عن مرجع الضمير، والأمثلة على هذا كثيرة في القرآن منها:

١- مرجع هاء الكناية في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ (الشعراء:١٩٦) حيث إن الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يحتمل عوده إلى القرآن الكريم المعبر عنه بالتنزيل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ (الشعراء:١٩٢)، ويحتمل عوده إلى النبي (ﷺ) المعبر عنه بالضمير في قوله سبحانه: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ (الشعراء:

(١) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ج٥ ص٦٤.

(٢) إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني ج٢ ص١٦.

١٩٤)، ومن هنا اختلف العلماء حول مرجع هاء الكناية في الآية الكريمة إلى قولـــين:

أحدهما: أن هاء الكناية تعود إلى القرآن، والمعنى: وإن هذا القرآن لفي زبر الأوّلين يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله.(١)

الثاني: أنها تعود إلى الرسول (ﷺ) والمعنى أن ذِكْرُ محمد (ﷺ) ونعته، موجود في زبر الأولين وهو قول مقاتل.(٢)

وهذا القولان وإن كانا صحيحين في أصلهما، إلا أن السياق يرجح الأول منهما وذلك أن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ (الشعراء:١٩٢) إلى الآية الكريمة، والآيات بعدها إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ (الشعراء:٢٠١)، في سياق الخبر والحديث عن القرآن فأن تكون الهاء راجعة إلى القرآن إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره.

وقد قال بهذا القول كل من الأئمة: الطبري، والزمخشري، وأبي حيان، وأبي السعود، والشوكاني، والألوسي(٣)، والأكثرون من العلماء والمفسرين.(٤)

---

(١) جامع البيان للطبري ج١٧ ص٦٤٣.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٢٨٠.

(٣) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج١٧ ص٦٤٣ ، الكشاف للزمخشـــري ج٣ص٣٣٤ ، تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٨ ص١٨٩، إرشاد العقل الســـليم إلـــى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ج٦ ص٢٦٤، فتح القـــدير للشـــوكاني ج٤ ص١٣٦، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج١٠ ص١٢٣،١٢٤.

(٤) نسب هذا القول إلى اكثر المفسرين الإمام البغـــوي فـــي تفســـيره معـــالم التنزيـــل ج٦ ص١٢٩، والإمام ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ج٣ ص٣٤٨.

٢- مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ (الطارق: ٨)، حيث إن الضمير في ﴿رَجۡعِهِۦ﴾ يحتمل عوده إلى الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ (الطارق: ٦)، ويحتمل عوده إلى الماء الدافق المذكور في قوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ (الطارق:٦)، ومن هنا اختلف المفسرون في مرجع الضمير في الآية الكريمة على قولين:

أحدهما: أن الضمير راجع إلى الماء الدافق، والمعنى: "إنه سبحانه قادر على رجع هذا الماء من حيث خرج، كرد اللبن إلى الضرع مثلا، ورد الطفل إلى الرحم".(١)

وقد روي هذا القول عن مجاهد، وعكرمة؛ فعن مجاهد (رحمه الله) "(إنه على رجعه لقادر): على أن يرد الماء في الإحليل.(٢)

وعن عكرمة (رحمه الله): ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ [الطارق: ٨] قال: لِلصُّلْبِ.(٣)

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ج٨ ص٤٩٣، ط: دار الفكر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره عن مجاهد بإسناد صحيح. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج٤ ص٦١٨.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٤ ص٢٩٧ عن عكرمة بإسناد صحيح. فالراوي عن عكرمة هو أبو رجاء البصري: مُحَمَّد بن سيف الأزدي الحداني وثقه يحيى بن معين، ومحمد بن سعد في الطبقات، والنسائي، وقَال أبو حاتم في الجرح والتعديل ج٧ ص٢٨١: "صالح الحديث"، وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات ج٧ ص٤٠٣" (ينظر تهذيب الكمال للمزي ج٢٥ ص٣٥٥،٢٥٦)، وروى عن أبي رجاء شعبة بن الحجاج: وهو "ثقة حافظ متقن كان الثوري يقول هو أمير المؤمنين في الحديث" (ينظر تقريب التهذيب ص ٢٦٦، رقم (٢٧٧٨)، وعن شعبة روى أبو النعمان الحكم بن عبد الله=

الثاني: أن الضمير يعود على الإنسان، ويكون المعنى: "إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة".(١)

وقد روي هذا القول عن قتادة (رحمه الله) حيث قال: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾ إن الله تعالى ذكره على بعثه وإعادته قادر".(٢)

والسياق يرجح عود الضمير إلى الإنسان وذلك أن "الآية في موضع الاحتجاج على الكفرة ولم يذكر عن أحد التنازع في نفى الرد إلى الصلب وإنكاره حتى يدفع المنازعة بهذا، وكانوا أهل إنكار بالبعث؛ فاحتج عليهم بابتداء الخلقة، وكذلك أكثر ما جرى به الاحتجاج في إثبات البعث في القرآن، إنما احتج عليهم بالابتداء".(٣)

كما أنه سبحانه أتبع قوله **﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾ بقوله ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ٩﴾** (الطارق:٩)، فقيد الإرجاع بالظروف وهو اليوم الذي تبلى فيه السرائر أي: تظهر السرائر وتبدو للناس وينقلب السر علانية والمسرور

=العجلي قال عقبة بن مكرم: كان من أصحاب شعبة الثقات، وقَال البُخارِيُّ: حديثه معروف، كان يحفظ. (ينظر التاريخ الكبير للبخاري ج٣ ص٢٤٩)، وقَال أَبُو بكر الخطيب: كان ثقة، يوصف بالحفظ روى له البخاري، ومسلم، والتِّرْمِذِيّ، والنَّسَائي. (ينظر تهذيب الكمال للمزي ج٧ ص١٠٤،١٠٥)، والراوي عن الحكم هو محمد بن المثنى بن عبيد العنزي وهو ثقة ثبت. (ينظر تقريب التهذيب لابن حجر ص٥٠٥، رقم (٦٢٦٤).

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٨ ص٣٦٩.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره عن قتادة بإسناد حسن. ينظر الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير ياسين ج٤ ص٦١٨.

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة ج١٠ ص٤٩٥،٤٩٦).

مشهورًا، وهذا إنما يكون يوم القيامة، أما في الدنيا فهناك الكثير من الأمور التي تخفى على الناس ولا تظهر لهم عياناً، وذلك يدل على ان المراد بالرجع هنا رجع الإنسان يوم القيامة من الموت.

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): "وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨﴾ [الطارق: ٨] الصحيح أن الضمير يرجع على الإنسان، أي إن الله على رده إليه لقادر يوم القيامة، وهو اليوم الذي يبلى فيه السرائر، ومن قال: "إن الضمير يرجع على الماء أي أن الله على رجعه في الإحليل أو في الصدر أو حبسه عن الخروج لقادر "فقد أبعد، وإن كان الله سبحانه قادرا على ذلك، ولكن السياق يأباه، وطريقة القرآن – وهي الاستدلال بالمبدإ والنشأة الأولى على المعاد والرجوع إليه – وأيضا فإنه قيده بالظرف، وهو ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ (الطارق: ٩) والمقصود أنه سبحانه دعا الإنسان أن ينظر في مبدأ خلقه ورزقه، فإن ذلك يدله دلالة ظاهرة على معاده ورجوعه إلى ربه".[١]

وقد قال بعود الضمير إلى الإنسان كل من الأئمة: الطبري،الماتريدي، السمرقندي، وابن أبي زمنين، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، والبغوي، ونجم الدين النسفي، وابن عطية، والرازي، والقرطبي، وابن الأحنف اليمني، والخازن، وابن جزي، وأبي حيان، والسمين الحلبي، والأيجي، والشوكاني، وصديق حسن خان، ومحمد بن عمر نووي الجاوي، والمراغي، والطاهر بن عاشور، والشيخ عطية سالم.[٢]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ج٨ ص٤٩٣.

(٢) ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٢٤ ص٢٩٩، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة ج١٠ص٤٩٥،٤٩٦)، بحر العلوم للسمرقندي ج٣ ص٥٦٩، تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ج٥ ص١١٨، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي=

خامسًا: بيان المجمل بسبب التردد الحاصل في الإضافة.[1]

والمعنى: أن يكون اللفظ في الآية الكريمة مصدرًا مضافًا، واللفظ المضاف إليه مختلفًا فيه فبعضهم يجعله فاعلًا لهذا المصدر، والبعض يجعله مفعولًا له، ونتيجة لهذا الاختلاف والتردد الحاصل في الإضافة، يكون الإجمال في معنى الآية.

ويقوم السياق بدور بارز في الكشف عن هذا الإجمال، وفي ترجيح أحد القولين على الآخر، ومن الأمثلة التي تبين ذلك ما يلي:

=ج٢٩ ص٢١٧، الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ج٤ ص٣٦٥، تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني ج٦ ص٢٠٣، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ج٨ ص٣٩٤، التيسير في التفسير لنجم الدين النسفي ج١٥ ص٢٩٩، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٥ ص٤٦٦، مفاتيح الغيب للرازي ج٣١ ص١٢١، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٢٠ ص٧، البستان في إعراب مشكلات القرآن لابن الأحنف اليمني ج٤ ص٣٨٠، لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ج٤ ص٤١٦، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٤٧٢، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج١٠ ص٤٥٢، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ج٢ ص٢٧٣، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإِيجي ج٤ ص٤٧٤، فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٥١٠، فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ج١٥ ص١٧٩، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني ج٢ ص٦٢٢، تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي ج٢٠ ص١١٥، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٣٠ ص٢٦٥، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٨ ص٤٩٣.

(١) ينظر أسباب الإجمال في الكتاب والسنة وأثرها في الاستنباط للدكتور أسامة محمد عبد العظيم ص١٠٩.

١- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ (مريم:٤)؛ فـ "دعاء" في الآية الكريمة مصدر مضاف، وفي هذه الإضافة احتمالان:

أحدهما: أن تكون من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، "أي: ولم أكن بدعائي إياك شقيًا أي لم تكن تخيب دعائي إذا دعوتك، أي إنك عودتني الإجابة فيما مضى. يقال: شقي بكذا أي تعب فيه ولم يحصل مقصوده".(١)، وقد قال بهذا القول جمهور المفسرين.(٢)

---

(١) ما بين العلامتين من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١١ ص٧٧.

(٢) ينظر جامع البيان للطبري ج١٥ ص٤٥٥، تأويلات أهل السنة للماتريدي ج٧ ص٢٢٠، بحر العلوم للسمرقندي ج٢ ص٣٦٨، تفسير القرآن لابن أبي زمنين ج٣ ص٨٨، الكشف والبيان للثعلبي ج١٧ ص٣٢٩، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ج٧ ص٤٤٩٣، التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي ج١٠ ص١٦٥، المحرر الوجيز لابن عطية ج٤ ص٤، تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ج٢ ص٢٦٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١١ ص٧٧، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٤ ص٥، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج١ ص٤٧٧، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج٧ ص٢٤٠، التفسير القيم لابن القيم ص٢٥٢، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ج٢ ص٢٨٣، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٥ ص١٨٨، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ج١٣ ص١١، كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني ج٤ ص١٩٩، تفسير ابن عرفة لابن عرفة الورغمي ج٣ ص١٠٩، غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري ج٤ ص٣٦٩، الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي ج٤ ص٦، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج١٢ ص١٦٨، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي ج٢ ص٤٧٠، فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ج٤ ص٢٣٥، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ج٥=

الثاني: أن تكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله، أي لم أكن بدعائك لي شقيًا، "يَعْنِي: لما دعوتني إِلَى الْإِيمَان آمَنت، وَلم أشق بترك الْإِيمَان".(١)

والسياق يرجح أن تكون الإضافة من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، وأن الكاف تعود على المدعو وهو الله (ﷻ)، حيث إن زكريا (عليه السلام) أعقب مقالته هذه بدعائه وطلبه من الله (ﷻ) الولد، فكان ما ورد في هذه الآية الكريمة بمثابة الوسيلة إلى إجابة مطلوبه الذي سيطلبه بعد وهو الولد، كأنه يقول يا رب قد عودتني الإجابة فيما مضى، ولم تخيب دعائي، فأجب دعوتي هذه وهب لي من لدنك ولدًا صالحًا.

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله): "وأما قول زكريا (عليه السلام): **﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾** فقد قيل: إنه دعاء المسألة، والمعنى: إنك عودتني إجابتك

=ص٢٥٣، روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ج٥ ص٣١٤، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة ج٣ ص٣١٩، التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري ج٦ ص٨٣، فتح القدير للشوكاني ج٣ ص٣٧٩،٣٨٠، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي ج٨ ص٣٨١، فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي ج٨ ص١٣٥، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني ج٢ ص٣، محاسن التأويل للقاسمي ج٧ ص٨٥، التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب ج٨ ص٧٢٣، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج١٦ ص٦٥،٦٦، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ج٤ ص٢٦٠، التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ج٣ ص١٤٢، تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي ج١٥ ص٩٠٢٨، التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي ج٩ ص١٤، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي ج١٦ ص٥٨.

(١) ينظر تفسير القرآن للسمعاني ج٣ ص٢٧٧، معالم التنزيل للبغوي ج٥ ص٢١٨،

وإسعافك، ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه تعالى بما سلف من إجابته وإحسانه، كما حكي أن رجلا سأل رجلا وقال: أنا الذي أحسنت إليّ وقت كذا وكذا. فقال: مرحبا بمن توسل إلينا بنا، وقضى حاجته. وهذا ظاهر هنا.

ويدل عليه: أنه قدم ذلك أمام طلبه الولد، وجعله وسيلة إلى ربه، فطلب منه أن يجاريه على عادته التي عوده: من قضاء حوائجه وإجابته إلى ما سأله"[١]

ويقول الإمام الألوسي (رحمه الله): "﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي لم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي، والجملة معطوفة على ما قبلها، وقيل حال من ياء المتكلم إذ المعنى واشتعل رأسي وهو غريب، وهذا توسل منه (عليه السلام) بما سلف منه تعالى من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعد ما عود عبده الإجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه أبدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره، وفي هذا التوسل من الإشارة إلى عظم كرم الله (عز وجل) ما فيه.

وقد حكى أن حاتما الطائي، وقيل معن بن زائدة أتاه محتاج فسأله وقال: أنا الذي أحسنت إليه وقت كدا فقال: مرحبا بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته، وقيل المعنى ولم أكن بدعائك إياي إلى الطاعة شقيا بل كنت ممن أطاعك وعبدك مختصا فالكاف على هذا فاعل والأول أظهر وأولى".[٢]

٢- قـــوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ (النور:٦٣)، فـ ﴿دُعَآء﴾ في الآية الكريمة مصدرٌ مضاف إلى ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ وفي هذه الإضافة احتمالان:

(١) التفسير القيم لابن قيم الجوزية ٢٥٢.

(٢) روح المعاني للألوسي ج٨ ص٣٨١.

أحدهما: أن تكون من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، وهو الرسول، فالرسول مدعو، ومعنى الآية بناء على هذا: "لا تجعلوا دعاءكم الرسول إذا دعوتموه كدعاء بعضكم بعضكم بعضًا، فلا تقولوا له: يا محمد مصرّحين باسمه، ولا ترفعوا أصواتكم عنده كما يفعل بعضكم مع بعض، بل قولوا له: يا نبي الله، يا رسول الله، مع خفض الصوت احترامًا له (ﷺ)".[١]، وقد روي هذا القول عن مجاهد، وقتادة.

فعن مجاهد (رحمه الله): "﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ قال: أمرهم أن يقولوا: يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا: يا محمد في تجهم".[٢]

وعن قتادة (رحمه الله): "﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ قال: "أمرهم الله أن يفخموه ويشرفوه".[٣]

الثاني: أن تكون من باب إضافة المصدر إلى فاعله، وهو الرسول، فالرسول داع، وبناء على هذا القول اختلف المفسرون في تفسير الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن هذه الآية نهيٌ من الله للمؤمنين عن التعرض لدعاء رسول الله (ﷺ) بإسخاطه لأن دعاءه يوجب العقوبة وليس كدعاء غيره .[٤]

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص٢٧٩.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ج١٧ ص٣٨٩ عن مجاهد بإسناد صحيح . ينظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج٣ ص٤٨٤

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ج٢ ص٤٥٠ ، برقم (٢٠٧٨)، عن قتادة بإسناد صحيح . ينظر موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بن بشير بن ياسين ج٣ ص٤٨٤.

(٤) النكت والعيون للماوردي ج٤ ص١٢٨.

فكأن الله (ﷻ) يقول لهم: "اتقوا دعاءه عليكم، بأن تفعلوا ما يسخطه، فيدعو لذلك عليكم فتهلكوا، فلا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس، فإن دعاءه موجبة".(١)

وقد رُوي هذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما).(٢)

وقد رجح هذا القول الإمام الطبري(٣)(رحمه الله).

كما استحسنه الإمام أبو جعفر النحاس معتمدًا في ذلك على سياق الآيات؛ حيث قال (رحمه الله): "وقوله (ﷻ): "﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ ؛ قال مجاهد قولوا يا رسول الله في رفق ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم، وقال قتادة أمروا أن يفخموه ويشرفوه، ويروى عن ابن عباس كان يقول دعوة الرسول عليكم واجبة فاحذروها وهذا قول حسن لكون الكلام متصلًا لأن الذي قبله والذي بعده نهي عن مخالفته أي لا تتعرضوا لما يسخطه فيدعو عليكم فتهلكوا ولا تجعلوا دعاءه كدعاء غيره من الناس".(٤)

لكن ضعف هذا القول الإمام ابن عطية، والشنقيطي (رحمهما الله) مستندين في ذلك إلى أن "لفظ الآية يدفع هذا المعنى"(٥)، وذلك أن الله (ﷻ) يقول في الآية الكريمة: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ "ولو أراد

---

(١) جامع البيان للطبري ج١٧ ص٣٨٨.

(٢) روى هذا القول عن ابن عباس (رضي الله عنهما) الإمام الطبري في تفسيره ج١٧ ص٣٨٨، من طريق عطية العوفي وهو إسناد مسلسل بالضعفاء كما حكم عليه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للكتاب. (ينظر تفسير الطبري بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ج١ ص٢٦٣، ط: دار التربية والتراث ــ مكة المكرمة).

(٣) جامع البيان للطبري ج١٨ ص٣٨٩.

(٤) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد ج٤ ص٥٦٥.

(٥) ما بين العلامتين من المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٤ ص١٩٨.

دعاء بعضهم على بعض، لقال: لا تجعلوا دعاء الرسول عليكم كدعاء بعضكم على بعض، فدعاء بعضهم بعضا، ودعاء بعضهم على بعض متغايران، كما لا يخفى".(١)

الثاني: أن المراد بالآية نهي المؤمنين أن يجعلوا حضورهم عنده (ﷺ) إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض، بل يتأدَّبون معه، بأن لا يفارقوا مجلسه إلّا بإذنه.

قال الإمام الزمخشري: "إذا احتاج إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم فلا تتفرقوا عنه إلا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي".(٢)

وقد رجح ابن الأثير (رحمه الله) هذا القول معتمدًا في ذلك على قرينة السياق ــ حيث قال: "وأما مثال المعنيين إذا كان أحدهما مناسبًا لمعنى تقدَّمه أو لمعنى تأخَّر عنه، والآخر غير مناسب: فالأول: هو ما كان مناسبًا لمعنى تقدَّمه كقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فالدعاء هاهنا يدل على معنيين: **أحدهما:** النهي أن يُدْعَى الرسول باسمه، فيقال: يا محمد، كما يدعو بعضهم بعضًا بأسمائهم، وإنما يقال له: يا رسول الله، أو يا نبي الله .

الآخر: النهي أن يجعلوا حضورهم عنده إذا دعاهم لأمر من الأمور كحضور بعضهم عند بعض، بل يتأدَّبون معه، بأن لا يفارقوا مجلسه إلّا بإذنه، وهذا الوجه هو المراد، لمناسبة معنى الآية التي قبله، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) ما بين العلامتين من أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص٢٨٠.

(٢) الكشاف للزمخشري ج٣ ص٢٦٠.

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ (النور:٦٢)".[١]

الثالث: أن الآية نهيٌ من الله للمؤمنين عن الإبطاء عند أمره والتأخر عند استدعائه (ﷺ) لهم إلى الجهاد ولا يتأخرون كما يتأخر بعضهم عن إجابة بعض.[٢]

قال المبرد: لا تجعلوا أمره إياكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم لبعض، إذ كان أمره فرضًا لازمًا.[٣]

وقد رجح الإمام الرازي (رحمه الله) هذا القول حيث قال: " وهذا القول أقرب إلى نظم الآية".[٤]

كما رجحه ابن أبي الحديد حيث قال في رده على ابن الأثير: "قال المصنف: ومثال ما يتردد بين معنيين ويحمل على أحدهما القرينة المتقدمة في أول الكلام قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ فإنه يحتمل أن يريد به لا تدعوه باسمه فتقولوا يا محمد، كما يدعو بعضكم بعضا بأسمائكم، ويحتمل أن يريد به أنكم إذا حضرتم في مجلسه فلا يكن حضوركم كحضوركم في مجالسكم، أي لا تفارقوا مجلسه إلا بإذنه، والزموا معه الأدب ؛

---

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد ج١ ص٧٧.

(٢) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ج٤ ص١٢٨ .

(٣) نقل كلام المبرد الإمامين: الواحدي (رحمه الله) في تفسيره (البسيط ج١٦ ص٣٩٠،٣٩١) والرازي (رحمه الله) في تفسيره (مفاتيح الغيب ج١٢ ص٤٢٥).

(٤) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج٢٤ ص٤٢٥ بتصرف .

قال: والحمل على هذا المحمل أولى لأن قبل هذه ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾.

أقول: هذه قرينة متقدمة لعمري، ولكن في الآية قرينة أخرى متأخرة تقتضي حمله على محمل آخر غير هذا وغير المحمل الأول، ولعله الأصح، وهو أن يراد بالدعاء الأمر، يقال دعا فلان قومه إلى كذا أي أمرهم به وندبهم إليه، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤) أي ندبكم، وقال سبحانه: ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ (نوح: ٧) أي أمرتهم وندبتهم، والقرينة المتأخرة قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النور: ٦٣) فلم كان حمل الآية على ما ذكره لأجل القرينة المتقدمة أولى من حمله على هذا المحمل لأجل القرينة المتأخرة؟".[١]

والسياق كما هو ظاهر مما تقدم يُرجح أن تكون الإضافة من باب إضافة المصدر إلى فاعله، وأن الرسول في الآية الكريمة داع وليس بمدعو وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم في تأويل هذه الدعوة بناء على اختلافهم في تحديد هذا السياق الذي يساعد على تفسيرها هل هو السياق السابق على الآية الكريمة وهو ما يُطلق عليه (السباق)، أو السياق اللاحق لها وهو ما يُطلق عليه (اللحاق).

التردد في متعلق الجار والمجرور[٢].

---

(١) الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد ج٤ ص٧٩.

(٢) ذكر هذا السبب الدكتور أسامة عبد العظيم في كتابه أسباب الإجمال في الكتاب والسنة وأثرها في الاستنباط ص٨٦.

فإن الجار والمجرور لابد لهما من متعلق يتعلقان به ويكون هذا المتعلق هو العامل فيهما، وهذا المتعلق كما ذكر الأزهري قد يكون فعلًا أو ما في معناه من مصدر أو صفة أو نحوهما(١)، وقد يرد في الجملة الواحدة أحياناً أكثر من لفظ يصلح أن يكون متعلقًا للجار والمجرور، ويختلف المعنى بناء على الاختلاف في تعيين هذا المتعلق، فيكون ذلك سببًا إلى الإجمال في المعنى، وهنا يأتي دور السياق في ترجيح أحد المتعلقات فيظهر المعنى ويتبين المراد به.

ومن الأمثلة التي توضح ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ (غافر: ٢٨)؛ فإن الجار والمجرور ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ يصلح لأن يكون متعلقًا بـــأحد شيئين:

أحدهما: أن يكون متعلقًا بـــ ﴿رَجُلٌ﴾ في محل جر صفة له، وبناء على هذا يكون هذا الرجل قبطيًا من آل فرعون.

الثاني: أن يكون متعلقًا بالفعل ﴿يَكْتُمُ﴾، والمعنى: يكتم إيمانه من آل فرعون، وبناء على هذا يكون الرجل إسرائيليًا وليس من آل فرعون.

والسياق يرجح أنه كان قبطيًا وليس إسرائيليًا وذلك لأن هذا الرجل توجه بعد ذلك بالخطاب لهم قائلًا لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ (غافر:٢٩)، وفي هذا دليل على أنه قبطي وذلك لأنه خاطبعم في صدر الآية بقوله ﴿يَٰقَوْمِ﴾، ثم ذكرهم بما هم فيه من الملك والظهور والرياسة حتى يشكروا الله (ﷻ) ويؤمنوا به، وحذرهم إن لم

(١) ينظر موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد بن عبد الله بن أبي بكـــر بـــن محمـــد الجرجاويّ الأزهري ص٧٥.

يفعلوا ذلك من عذاب الله وبأسه، وهذا يدل على أنه كان قبطيًا لأنه من المعلوم أن بني إسرائيل لم يكن ملك ولا ظهور هنالك.

قال الإمام القرطبي (رحمه الله): "قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ هذا من قول مؤمن آل فرعون، وفي قوله: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ دليل على أنه قبطي، ولذلك أضافهم إلى نفسه فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ليكونوا أقرب إلى قبول وعظه".(١)

وقال الإمام الطاهر بن عاشور (رحمه الله): "ووصفه بأنه من آل فرعون صريح في أنه من القبط ولم يكن من بني إسرائيل خلافا لبعض المفسرين ألا ترى إلى قوله تعالى بعده: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ (غافر: ٢٩) فإن بني إسرائيل لم يكن لهم ملك هنالك، والأظهر أنه كان من قرابة فرعون وخاصته لما يقتضيه لفظ آل من ذلك حقيقة أو مجازا".(٢)

فالسياق المقالي كما هو ظاهر يؤكد كون هذا الرجل قبطيًا من آل فرعون، وكذلك السياق المقامي المأخوذ من القرائن والأحوال المصاحبة للخطاب الوارد في الآية الكريمة يدل على كونه قبطيًا حيث إن: " فرعون قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله وقيله ما قاله وقال له: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾، ولو كان إسرائيليًا لكان حريا أن يعاجل هذا القائل له، ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلا؟ ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكف عما كان هم به في موسى".(٣)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٥ ص٣١٠.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٤ ص١٢٨.

(٣) ما بين العلامتين من جامع البيان عن تأويل آي القرن للطبري ج٢٠ ص٣١١.

قال الإمام أبو حيان (رحمه الله) عند تفسيره للآية الكريمة: "وقيل: كان إسرائيليا وليس من آل فرعون، وجعل ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ متعلقا بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾، لا في موضع الصفة لرجل، كما يدل عليه الظاهر، وهذا فيه بعد، إذ لم يكن لأحد من بني إسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل".(١)

وقد قال أيضًا بكون هذا الرجل قبطيًا كل من الأئمة: ابن عطية، والرازي، والنسفي، وابن جزي الكلبي، والشوكاني.(٢)

سادسًا: بيان المجمل بسبب التردد بين كون اللفظ فاعلًا أو مفعولًا

من أسباب الإجمال في التركيب صلاحية الكلمة الواردة في الجملة لأن تكون فاعلًا ولأن تكون مفعولًا، والسياق يرجح أحد الأمرين.

ومن الأمثلة على ذلك اسم الموصول "الذين" في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ *﴾ (الشورى:٢٦)، فإنه يصلح لأن يكون فاعلًا ويصلح كذلك أن يكون مفعولًا ومن هنا اختلف المفسرون في تأويل الآية الكريمة على قولين:

أحدهما: أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل نصب مفعول به، والفاعل مضمر تقديره الله، وتقدير الآية بناء على ذلك: "ويستجيب الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، أي: يجيب الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطلبون منه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ج٩ ص٢٥١.

(٢) ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ج٤ ص٥٥٦، مفاتيح الغيب للرازي ج٢٧ ص٥٠٩، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٣ ص٢٠٨، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج٢ ص٢٣٠، فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٥٦٠.

قالوا: "والعرب تقول: أجاب واستجاب بمعنى ومنه قول الشاعر كعب بن سعد الغنوي:

وداع دعا يا من يُجيب إِلَى الندى ** فَلم يستجبه عِنْد ذَاك مُجيب[(١)]".[(٢)]

وقد روي معنى هذا القول عن معاذ بن جبل (ﷺ)؛ فعن سلمة بن سبرة قال: خطب معاذ، فقال: " أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة، والله إني لأطمع أن يدخل عامةُ من تصيبون من فارس والروم الجنة، ذلك أن أحدهم يعمل لأحدكم العمل، فيقول: أحسنت بارك الله فيك أحسنت رحمك الله، ويقول: الله (ﷻ): ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾".[(٣)]

وقال به من المفسرين كل من الأئمة: الزجاج، والماتريدي، والسمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والسمعاني، وابن الجوزي، والرازي، وابن جزي، وابن كثير، وأبي السعود، والشوكاني، والقاسمي، وابن عاشور.[(٤)]

---

(١) هذا البيت قاله كعب بن سعد الغنوي في قصيدة يرثي فيها أخاه، مطلعها: أَخُو شَتَواتٍ يعلَمُ الضيفُ أَنَّهُ ... سيَكثُرُ مَا فِي قدرِهِ ويطيبُ. (ينظر الأصمعيات للأصمعي ص٩٦، التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا للمبرد ص٥٩).

(٢) ما بين العلامتين من المحرر الوجيز لابن عطية ج٥ ص٢٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ج٢٠ ص٥٠٧، وابن الجعد في مسنده ص٣٩٥، برقم (٢٦٩٣)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة حم عسق ج٢ ص٤٨٢، برقم (٣٦٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان ج١ ص١٦٤، برقم (٧٢)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٤) ينظر (معاني القرآن وإعرابه للزجاج ج٤ ص٣٩٩، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة ج٩ ص١٢٤)، بحر العلوم للسمرقندي ج٣ ص٢٤٣، الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ج٢٣ ص٣٦٩، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ص٩٦٥، تفسير القرآن للسمعاني ج٥ ص٧٦، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ج٤ ص٦٥، مفاتيح الغيب للرازي ج٢٧ ص٥٩٨، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ج٢=

أو أن المعنى: "يستجيب الله للذين آمنوا، فحذف اللام كما في قوله تعالى وإذا كالوهم أي كالوا لهم والمراد إجابة دعوتهم والإثابة على طاعتهم".(١)

الثاني: أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل رفع فاعل، أي: "يجيبون ربهم إذا دعاهم كقوله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤)".(٢)، وقد استظهر هذا القول الإمام أبو حيان (رحمه الله).(٣)

والسياق يرجح القول الأول من هذين القولين، وذلك لأن "الخبر فيما قبل وبعد عن الله لأن ما قبل الآية قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (الشورى:٢٥)، وما بعدها قوله ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ فيزيد عطف على ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾، وعلى الأول ويجيب العبد ويزيد الله من فضله".(٤)

قال الإمام الثعلبي (رحمه الله): "﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي يطيع الّذين آمنوا ربّهم في قول بعضهم، جعل الفعل للّذين آمنوا، وقال الآخرون: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ جعلوا الإجابة فعل الله تعالى، وهو

=ص٢٤٩، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٧ ص١٨٨، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٨ ص٣١، فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٦١٣، محاسن التأويل للقاسمي ج٨ ص٣٦٨، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢٥ ص٩١).

(١) ما بين العلامتين من إرشاد العقل السليم لأبي السعود ج٨ ص٣١.

(٢) ما بين العلامتين من الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ج٩ ص٥٥٢.

(٣) ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٩ ص٣٣٧.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج٢٧ ص٥٩٨.

الأصوب والأعجب إليّ لأنّه وقع بين فعلين لله تعالى: الأول قوله: ﴿يَقْبَلُ﴾ والثاني ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾".(١)

وقال الإمام ابن كثير (رحمه الله): "وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ قال السدي: يعني يستجيب لهم،..... وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ﴾ (الزمر: ١٨) أي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله (ﷻ): ﴿* إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام: ٣٦)، والمعنى الأول أظهر لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك".(٢)

سابعًا: بيان المجمل بسبب التردد بين كون اللفظ صفة أو حالا(٣)

ومعنى التردد بين الصفة والحال: أن تكون الكلمة أو الجملة صالحةً لأن تُعرب صفةً وصالحةً كذلك لأن تُعرب حالًا، ويختلف معنى الآية بناء على كل إعراب من هذين الإعرابين، ويؤدي هذا بدوره إلى الإجمال في معنى الآية.

ويؤدي السياق دورًا بارزًا في ترجيح أحد الإعرابين، وهذا يؤدي بدوره إلى رفع الإجمال وظهور المعنى المراد.

ومن الأمثلة على هذا كلمة: ﴿يَقِينًا﴾ من قوله سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ

(١) الكشف والبيان للثعلبي ج٨ ص٣١٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٧ ص١٨٨ بتصرف.

(٣) ينظر أسباب الإجمال في الكتاب والسنة وأثرها في الاستنباط ص١٢٠.

ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ ﴾ (النساء:١٥٧) فإنها محتملة لأمرين:

أحدهما: أن تكون نعتًا لمصدر محذوف، والتقدير: وما قتلوه قتلًا يقينًا[1]، أي وما قتلوه حقًا، ويكون معنى الآية بناء على ذلك: أنه تعالى لما أخبر أن اليهود شاكون في أنه هل قتلوا عيسى (عليه السلام) أم لا؟ أخبر سبحانه نبيه (ﷺ) بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه، وبناء على ذلك فاليقين متوجه إلى عدم القتل.

الثاني: أن تكون حالًا من الضمير في ﴿يَقِينَۢا ﴾، أي: ما قتلوه متيقنين، كما زعموا في قولهم: ﴿إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ﴾[2]، والمعنى بناء على ذلك: أنه تعالى لما أخبر أن اليهود شاكون في أنه هل قتلوا المسيح أم لا؟ أعقبه سبحانه ببيان أنهم عندما قتلوا ذلك الشخص الذي قتلوه لم يكونوا على يقين أنه عيسى (عليه السلام)، بل حينما قتلوه كانوا شاكين فيه هل هو عيسى (عليه السلام) أم لا؟.

والسياق يرجح المعنى الذي ينبني على الإعراب الأول، وأن المراد من الآية الكريمة القطع بأن اليهود ما قتلوا المسيح (عليه السلام) وذلك لأن الله تعالى أعقب قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ بقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾ (النساء:١٥٨)، وهذا الكلام إنما يصلح ويصح إذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل.

قال الإمام الرازي (رحمه الله) عند تفسيره للآيات الكريمة: "ثم قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ ﴾، واعلم أن هذا اللفظ يحتمل وجهين: أحدهما: يقين عدم القتل، والآخر يقين عدم الفعل، فعلى التقدير الأول يكون المعنى: أنه تعالى أخبر أنهم شاكون في أنه هل قتلوه أم لا، ثم أخبر محمدًا بأن اليقين حاصل بأنهم ما قتلوه، وعلى التقدير الثاني يكون المعنى أنهم شاكون في

(١) ينظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ج٢ ص٣٧٤.

(٢) ينظر الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ج٢ ص٣٧٤.

أنه هل قتلوه؟ ثم أكد ذلك بأنهم قتلوا ذلك الشخص الذي قتلوه لا على يقين أنه عيسى (عليه السلام)، بل حين ما قتلوه كانوا شاكين في أنه هل هو عيسى أم لا، والاحتمال الأول أولى لأنه ــ تعالى ــ قال بعده ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ وهذا الكلام إنما يصح إذا تقدم القطع واليقين بعدم القتل".(١)

ثامنًا: بيان المجمل بسبب التردد بين التقديم والتأخير(٢)

من أسباب الإجمال في معنى الآية احتمال التقديم والتأخير في ألفاظها، وهذا يؤدي بدوره إلى الإجمال في معناها، فمن يُبقى ألفاظ الآية على ترتيبها يفسرها بمعنى، ومن يقول بالتقديم والتأخير يفسرها بمعنى آخر، وللسياق دور مهم في ترجيح بقاء ألفاظ الآية على ترتيبها أو القول بالتقديم والتأخير فيها.

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ (الأنعام:٣).

فقد اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة بناء على اختلافهم هل في الآية تقديم وتأخير أو لا؟ فمن قال بعدم التقديم والتأخير فسر الآية فقال إن معنى قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ٣﴾ أنه المدعو الله في السموات وفي الأرض، أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السموات ومن في الأرض، ويسمونه الله ويدعونه رغبا ورهبا، إلا من كفر من الجن والإنس، وهذه الآية على هذا القول، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ (الزخرف: ٨٤) أي هو إله من في

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج١١ ص٢٦٢.

(٢) أسباب الإجمال في الكتاب والسنة للدكتور أسامة عبد العظيم ص١٨٥.

السماء، وإله من في الأرض، وعلى هذا فيكون قوله ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ خبرًا أو حالًا.(١)

ومن قال بالتقديم والتأخير قال إن معنى الآية: وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض، فيكون قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقًا بقوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.(٢)

وقد حسن هذا القول الإمام أبو جعفر النحاس (رحمه الله) حيث قال: "﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ ابتداء وخبر. قال أبو جعفر: وقد ذكرناه ومن أحسن ما قيل فيه: أنّ المعنى: وهو الله يعلم سرّكم وجهركم في السموات وفي الأرض".(٣)

والسياق يرجح أن الآية ليس فيها تقديم وتأخير، وذلك لأن الخطاب في الآية الكريمة لبني آدم حيث إن الله (عز وجل) خاطبهم في الآية السابقة بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ (الأنعام: ٢)، ثم أخبرهم في هذه الآية بأنه المألوه المعبود في السماوات والأرض، وأنه سبحانه يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما يكسبون، ولو جعلنا قوله سبحانه ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ مقدمًا لأصبح نظم الآية على هذا النحو: يعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض، وبنو آدم لا سر لهم في السماء ولا جهر ولا عمل، أو يقال إن الضمير في سركم وجهركم ليس لبني آدم وحدهم وإنما هو لجميع المخلوقين من الإنس والملائكة وهذا لا يساعده السياق لأن الخطاب كما ذكرت في الآية السابقة لبني آدم فقط وليس لجميع المخلوقين.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٣ ص٢١٥.

(٢) ينظر أضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص٢١٥ بتصرف.

(٣) إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ج٢ ص٣.

قال الإمام ابن عطية (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية الكريمة: "وقالت فرقة ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ ابتداء وخبرتم الكلام عنده، ثم استأنف وتعلق قوله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بمفعول يَعْلَمُ، كأنه قال «وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض» فلا يجوز مع هذا التعليق أن يكون هُوَ ضمير أمر وشأن لأنه يرفع اللَّهُ بالابتداء، ويَعْلَمُ في موضع الخبر، وقد فرق ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ بين الابتداء والخبر وهو ظرف غريب من الجملة، ويلزم قائلي هذه المقالة أن تكون المخاطبة في الكاف في قوله: ﴿سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ لجميع المخلوقين الإنس والملائكة، لأن الإنس لا سر ولا جهر لهم في السماء، فترتيب الكلام على هذا القول وهو الله يعلم يا جميع المخلوقين «سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض»".(١)

يقول الإمام الطاهر بن عاشور (رحمه الله): "ولا يجوز تعليق ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالفعل في قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ﴾ لأن سر الناس وجهرهم وكسبهم حاصل في الأرض خاصة دون السماوات، فمن قدر ذلك فقد أخطأ خطأ خفيا".(٢)

تاسعا: بيان المجمل بسبب الحذف(٣)

من أسباب الإجمال الخلاف في تقدير المحذوف، وذلك بأن تشتمل الجملة على محذوف، ويحتمل هذا المحذوف أكثر من تقدير يختلف به المعنى، فيؤدي ذلك إلى الإجمال في معنى الآية.

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ج٢ ص٢٦٨.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٧ ص١٣٣.

(٣) ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج٣ ص٥٩.

وللسياق دور مهم في ترجيح أحد هذه التقديرات، فينكشف الإجمال، ويظهر المراد من الآية الكريمة.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- مفعول ﴿قَدِّمُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ (البرقة:٢٢٣)، محذوف وقد اختلف المفسرون في تقديره على عدة أقوال، يختلف بناء عليها معنى الآية الكريمة وهي كما يلي:

الأول: أن المحذوف: "التسمية، والذكر والدعاء" والمعنى قدموا التسمية والذكر والدعاء عند الجماع.(١) كما ورد عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: "لو أن أحدكم إذا أتى أهله قل: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضي بينهما ولد لم يضره".(٢)

الثاني: أن المحذوف: "النية الخالصة" والمعنى: "قدموا لأنفسكم النية الخالصة؛ أي: لا تقتصروا على قضاء الشهوة، ولكن اقصدوا التعفف والولد".(٣)

الثالث: أن المحذوف: "طلب الولد" والمعنى: قدموا لأنفسكم في طلب الولد، وذلك لأنه لا شيء أنفع للعبد في مستقبله من ولد صالح يبره في حياته ويدعو

(١) ينظر معالم التنزيل للبغوي ج١ ص٢٦١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: التسمية على كل حال وعند الوقاع ج١ ص٦٥، برقم (١٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع ج٢ ص١٠٥٨، برقم (١٤٣٤).

(٣) ما بين العلامتين من التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي ج٣ ص٢١٩.

له بعد مماته، كما قال (ﷺ): "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية. أو علم ينتفع به. أو ولد صالح يدعو له".(١)

الرابع: أن المحذوف: "التزوج بالعفائف"، والمعنى قدموا لأنفسكم بالتزوج بالعفائف ليكون الولد صالحًا طاهرًا.

الخامس: أن المحذوف الخير والعمل الصالح، والمعنى: قدموا لأنفسكم طاعة وعملًا صالحًا قبل الممات.(٢)

والذي يرجحه السياق ويدل عليه هو القول الأخير بأن المحذوف الخير والعمل الصالح؛ وذلك لأن الله (ﷻ) أعقب الأمر بالتقديم للنفس، بالأمر بتقواه وهو أمر عام بتقوى الله (ﷻ)، فناسب أن يكون ما قلبه عامًا في الأمر بالطاعة. قال الإمام الطبري (رحمه الله) في ترجيحه لهذا القول: "والذي هو أولى بتأويل الآية، أن قوله: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ أمر من الله تعالى ذكره عباده بتقديم الخير، والصالح من الأعمال ليوم معادهم إلى ربهم، عدة منهم ذلك لأنفسهم عند لقائه في موقف الحساب، فإنه قال تعالى ذكره: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾ (البقرة: ١١٠) وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية؛ لأن الله تعالى ذكره عقب قوله: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ بالأمر باتقائه في ركوب معاصيه، فكان الذي هو أولى بأن يكون الذي قبل التهديد على المعصية عامًا الأمر **بالطاعة** عامًا".(٣)

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ج٣ ص١٢٥٥، برقم (١٦٣١).

(٢) ينظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج٦ ص١٢١)، معالم التنزيل للبغوي ج١ ص٢٦١،٢٦٢، كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني ج١ ص٣٩٣.

(٣) جامع البيان للطبري ج٣ ص٧٦٢.

وفضلًا عن أن السياق يرجح هذا القول، فإن القول به قول بجميع الأقوال الأخرى الواردة في الآية وذلك لأن هذا القول قول عام، والأقوال الأخرى أقوال خاصة جزئية وهي تدخل ضمن هذا القول العام.

وقد قال بهذا القول كل من الأئمة: الرازي، وابن جزي، وأبي حيان، وابن كثير، والطاهر بن عاشور.(١)

٢- المفعول الأول ﴿لِّيُنذِرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ (الكهف:٢)، محذوف وذلك أن فعل الإنذار يتعدى لمفعولين والمذكور في الآية فقط هو المفعول الثاني وهو قوله تعالى: ﴿بَأْسًا﴾ وأما المفعول فمحذوف وهذا الحذف أدى إلى الإجمال في معنى الآية، وذلك لأن المفسرين اختلفوا في تقديره على قولين:

أحدهما: أن هذا المفعول تقديره" الناس"، ومعنى الآية بناء على ذلك أن الله "أنزل على عبده القرآن معتدلا مستقيما لا عوج فيه لينذر الناس بأسا من الله شديدا، وعنى بالبأس العذاب العاجل، والنكال الحاضر والسطوة".(٢)

الثاني: أن هذا المفعول تقديره: "الذين كفروا" أو الكافرين، والمعنى: لينذر الكافرين بأسًا شديدًا من لدنه.

والسياق يرجح القول الثاني من هذين القولين وذلك من جهتين:

إحداهما: أن الله (ﷻ) أعقب قوله: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ بقوله سبحانه: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ فبين أنه بشارة للمؤمنين، فدل ذلك على الأنذار للكافرين على سبيل المقابلة.

---

(١) ينظر مفاتيح الغيب للرازي ج٦ ص٤٢٤،التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي ج١ ص٢١، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ص١٩٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٤٥٠، التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج٢ ص٣٧٤.

(٢) ينظر جامع البيان للطبري ج١٥ ص١٤٤.

قال الإمام الرازي (رحمه الله) عند تفسيره للآية الكريمة: "﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ مـــن لدنه وأنذر متعد إلى مفعولين كقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ (النبأ: ٤٠)، إلا أنه اقتصر هاهنا على أحدهما وأصله "﴿لِّيُنذِرَ﴾ – الذين كفروا– "﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ كما قال في ضده: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾".(١)

الثاني: أن الله (ﷻ) ذكر في آية تالية كون القرآن فيه إنذار وتخويف وتهديد للكـــافرين وذلك فـــي قـــــوله سبحانه: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾ (الكهف: ٤)، فدل ذلك على أن المحذوف في الآية الأولى هم الكافرون.

قال الشنقيطي (رحمه الله) عند تفسيره للآية الكريمة: "والإنذار: الإعلام المقترن بتخويف وتهديد. فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذارًا. والإنذار يتعدى إلى مفعولين، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ ﴾ (الليل:١٤)، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ..الآية ﴾ (النبأ:٤٠).

وفي أول هذه السورة الكريمة كرر تعالى الإنذار، فحذف في الموضع الأول مفعول الإنذار الأول، وحذف في الثاني مفعول الثاني، فصار المذكور دليلًا على المحذوف في الموضعين. وتقدير المفعول الأول المحذوف في الموضع الأول: "لينذر الذين كفروا بأسًا شديدًا من لدنه". وتقدير المفعول الثاني المحذوف في الموضع الثاني: "وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدًا بأسًا شديدًا من لدنه".

وقد أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى أن هذا القرآن العظيم تخويف وتهديد للكافرين، وبشارة للمؤمنين المتقين؛ إذ قال في تخويف الكفرة به: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾، وقال: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ ﴾، وقال في بشارته للمؤمنين: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

(١) مفاتيح الغيب للرازي ج٢١ ص٤٢٣.

وهذا الذي ذكره هنا من كونه إنذارًا لهؤلاء وبشارة لهؤلاء؛ بينه في مواضع أخر، كقوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ (مريم:٩٧)، وقوله: ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ (الأعراف:١،٢)".[١]

وممن قال بهذا القول من المفسرين كل من الأئمة: القرطبي، والبيضاوي، والنسفي، وأبو حيان، والمراغي.[٢]

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ج٤ ص١١.

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٠ ص٣٥٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ج٣ ص٢٧٢، مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ج٢ ص٢٨٥، البحر المحيط لأبي حيان ج٧ ص١٣٦، تفسير المراغي ج١٥ ص١١٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده وأشكره على توفيقه في البدء والختام، وأصلي وأسلم على خير الأنام نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد.

ففي نهاية هذا البحث من المناسب أن أذكر جملة من النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: النتائج:

١- السياق المقالي في القرآن الكريم من أعظم الطرق الموصلة إلى الفهم الصحيح لكتاب الله (ﷻ)، فمن رام فهمًا صحيحًا لهذا الكتاب فعليه النظر للسياق بمجموع قرائنه ودلالاته.

٢- بدأت العناية بالسياق منذ عصر النبي (ﷺ) والصحابة (رضي الله عنهم)، وتتابع المفسرون سلفًا وخلفًا على الاعتناء به واستخدامه في تفسير القرآن وبيان معانيه.

٣- يتنوع السياق إلى أنواع مختلفة باعتبارات متنوعة، فهناك أنواع للسياق من حيث حدود الدلالة، وهناك أنواع للسياق من حيث العلاقات التركيبية بين أجزاء النص، وهناك أنواع للسياق من حيث العلاقة بين النص ومحيطه الخارجي.

٤- أرجح التعاريف في تفسير المجمل ما ذكره ابن الحاجب من أن المجمل ما لم تتضح دلالته، أو ما له دلالة غير واضحة.

٥- يقع بيان الإجمال في نصوص الكتاب والسنة بالقول والفعل والكتابة والإشارة والإجماع والقياس والاجتهاد وغير ذلك مما ذكره الأصوليون في كتبهم.

٦- السياق القرآني إذا كان صريحًا لا يحتمل التأويل وجب الأخذ به في بيان المجمل لأنه يعد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وإذا كان محتملًا غير صريح فإن الاستدلال به والاعتماد عليه في بيان المجمل يكون من قبيل الرأي والاجتهاد.

٧- يقع الإجمال في المفردات كما يقع في التراكيب، وله أسباب متنوعة كالاشتراك والتواطء والإبهام وغير ذلك.

٨- يؤدي السياق دورًا مهمًا في رفع الإجمال الحاصل في الألفاظ والتراكيب المجملة، وقد اعتمد عليه المفسرون ووظفوه توظيفًا سليمًا لكشف الإجمال وإزالته بما يتناسب مع قواعد التفسير.

التوصيات:

في ختام هذا البحث أوصي أخواني الباحثين في مجال الدراسات القرآنية بما يلي:

أولًا: إفراد الآثار الأخرى للسياق القرآني في التفسير كتخصيص العام، وتقييد المطلق، ورفع الإشكال، وغير ذلك من الآثار الأخرى بدراسات وبحوث مستقلة.

ثانيًا: كتابة بحوث حول أثر دلالة السياق في إبطال التفسير المنحرف للنصوص الشرعية؛ بحيث يتناول كل بحث أحد الأفكار الضالة كالفكر الاعتزالي، أو الإرجائي، أو الحداثي، أو العصراني وغيرها.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم جل من أنزله.
٢- الإبهاج في شرح المنهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي وولده تاج عبد الوهاب بن علي السبكي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
٣- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤- أثر الإجمال والبيان في الفقه الإسلامي للدكتور محمد إبراهيم الحفناوي، ط: دار الوفاء ــ المنصورة، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م.
٥- إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد، ط: مطبعة السنة المحمدية.
٦- أحكام القرآن لابن العربي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٧- الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ط: المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٨- اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق لمحمد صالح محمد سليمان، ط: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٠هـ.
٩- إرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.
١٠- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١١- أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٢- أسباب الإجمال في الكتاب والسنة وأثرها في الاستنباط للدكتور أسامة عبد العظيم، ط: دار الفتح ــ القاهرة، ط١، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م.

١٣- الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى لابن عبد البر، ط: دار ابن تيمية للنشر والتوزيع والإعلام، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٤- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق لمحمد نور الدين، ط: دار الفكر المعاصر ــ بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م.

١٥- الأصمعيات للأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط: دار المعارف - مصر، ط٧، ١٩٩٣م.

١٦- الأضداد لأبي بكر بن الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، ط: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، ط٥، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م (الأولى لدار ابن حزم)، وأيضًا ط: دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، في بعض المواضع.

١٨- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٩- الإمام في بيان أدلة الأحكام للعز بن عبد السلام، ط: دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٢١- إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم نجم الدين محمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٢- البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، ط: دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٣- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر ــ بيروت.

٢٤- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩هـ.

٢٥- بدائع الفوائد لابن القيم، ط: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٦- البرهان فى تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ المغرب، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٧- البرهان في أصول الفقه لعبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبي المعالي، المحقق: صلاح بن محمد بن عويضة، ط: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٨- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٢٩- البستان في إعراب مشكلات القرآن لأحمد بن أبي بكر المعروف بابن الأحنف اليمني، تحقيق: د. أحمد محمد عبد الرحمن، ط: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٣٩هـ.

٣٠- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني للدكتور تمام حسن، ط: عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م.

٣١- تاج العروس للزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، ط: دار الهداية.

٣٢- التاريخ الكبير للبخاري، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٣٣- التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، المحقق: محمد حامد الفقي، ط: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٤- تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل في الفقه المالكي لتاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري، ط: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط١، ١٤٣٤هـ.

٣٥- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٣٦- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١ – ١٤١٦هـ.

٣٧- تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي، دراسة وتحقيق: د سيد عبد العزيز، د. عبد الله ربيع، ط: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٣٨- التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا لمحمد بن يزيد المبرد، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٩- تفسير ابن أبي حاتم لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

٤٠- تفسير ابن عرفة لابن عرفة الورغمي، تحقيق: د. حسن المناعي، ط: مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس، ط١، ١٩٨٦م.

٤١- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٤٢- التفسير البسيط للواحدي، ط: عمادة البحث العلمي ـ جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٣- التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة، ط: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٤٤- تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط: كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٤٥- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم لنصر بن محمد بن أحمد أبي الليث السمرقندي، ط: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

٤٦- تفسير الشعراوي لمحمد متولي الشعراوي، ط: مطابع أخبار اليوم.

٤٧- تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، ط: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.

٤٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ – ١٤١٩هـ.

٤٩- تفسير القرآن العظيم لعلم الدين لسخاوي، تحقيق: د. موسى علي موسى مسعود، د. أشرف محمد بن عبد الله القصاص، ط: دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

٥٠- تفسير القرآن للسمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥١- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب، ط: دار الفكر العربي – القاهرة.

٥٢- التفسير القيم لابن قيم الجوزية، ط: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط١- ١٤١٠هـ.

٥٣- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٥٤- تفسير المراغي لأحمد مصطفى المراغي، ط: مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

٥٥- التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، ط: مكتبة الرشدية – الباكستان، ١٤١٢هـ.

٥٦- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي، ط: دار الفكر ــ دمشق – سورية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٥٧- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط١.

٥٨- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، سنة ١٤١٩هـ.

٥٩- تفسير مجاهد، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط: دار إحياء التراث – بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦١- تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، ط: دار الرشيد – سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٦٢- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

٦٣- تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د بشار عواد معروف، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، (١٤٠٠ - ١٤١٣هـ) (١٩٨٠ - ١٩٩٢م).

٦٤- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، ط: دار الفكر العربي، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٦٥- تيسير التحرير على كتاب (التحرير في أصول الفقه الجامع بين اصطلاحي الحنفية والشافعية لكمال الدين ابن همام الدين الإسكندري) لمحمد أمين المعروف بأمير بادشاه الحسيني الحنفي الخراساني البخاري المكي، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م).

٦٦- التيسير في التفسير لنجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي، تحقيق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، ط: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، ط١، ١٤٤٠هـ.

٦٧- الثقات لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، ط: دار الباز، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.

٦٨- الثقات لمحمد بن حبان البستي، ط: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣هـ.

٦٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ط: دار التربية والتراث ــ مكة المكرمة.

٧٠- جامع البيان عن تفسير القرآن للطبري، ط: دار هجر للطباعة، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٧٢- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد ــ الهند.

٧٣- جمع الجوامع في أصول الفقه لتاج الدين السبكي، ط: دار الكتب العلمية ــ بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.

٧٤- الجنى الداني في حروف المعاني لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٥- الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٦- حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري مطبوعة بهامش الكشاف للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ - ١٤٠٧هـ.

٧٧- حاشية البناني على جمع الجوامع، ط: مصر، ١٩١٦م.

٧٨- حاشية الصاوي على الشرح الصغير، ط: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

٧٩- الدر المنثور لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: دار الفكر – بيروت.

٨٠- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال ابن جرير الطبري لعبد الحكيم القاسم، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٢٠هـ.

٨١- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: الدكتور عمر عبد الرسول، ط: دار المعارف ـ القاهرة.

٨٢ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط٢، ١٤٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٨٣- ديوان عنترة بن شداد، ط: مكتبة الآداب ـ بيروت، ١٨٩٣م.

٨٤- الراموز على الصحاح للسيد محمد بن السيد حسن، تحقيق: د محمد علي عبد الكريم الرديني، ط: دار أسامة – دمشق، ط٢، ١٩٨٦م.

٨٥- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، ط: دار الفكر – بيروت.

٨٦- روح المعاني للألوسي، تحقيق: علي عبد الباري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٨٧- روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، ط: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ ـ٢٠٠٢م.

٨٨- زاد المسير لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي ـ بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٨٩- زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.

٩٠- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني، ط: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة، ١٢٨٥هـ.

٩١- السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٩٢- سنن الترمذي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

٩٣- سنن سعيد بن منصور، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٩٤- السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد الباحث: عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، ١٤٢٩هـ.
٩٥- السياق القرآني وأثره في التفسير للدكتور أحمد ماهر سعيد نصر، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا، العدد الحادي عشر، المجلد الأول، ١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م.
٩٦- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة سعيد محمد الشهراني: وهي رسالة دكتوراه غير مطبوعة مقدمة لجامعة أم القرى.
٩٧- السياق وتوجيه دلالة النص لعيد بلبع مطبوع ضمن سلسلة سياقات، ط١، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.
٩٨- سير أعلام النبلاء للذهبي، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٩٩- الشافية في علم التصريف لابن الحاجب، تحقيق: حسن أحمد العثمان، ط: المكتبة المكية – مكة، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.
١٠٠ـ شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد، تحقيق: محمد خلوف العبد الله، ط: دار النوادر، سوريا، ط٢، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
١٠١- شرح الكوكب المنير للفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط: مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١٠٢- شرح المعالم في أصول الفقه لابن التلمساني عبد الله بن محمد علي شرف الدين المصري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ط: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٠٣- شرح المفصل لابن يعيش، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٠٤- شرح تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط: شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط١، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
١٠٥- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.
١٠٦- شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري، تحقيق: مصطفى السقا/ إبراهيم الأبياري/ عبد الحفيظ شلبي، ط: دار المعرفة – بيروت.
١٠٧- شرح شافية ابن الحاجب لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، ط: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٠٨- شرح مختصر أصول الفقه لتقي الدين أبي بكر بن زايد الجراعي المقدسي، ط: لطائف لنشر الكتب والرسائل العلمية، الشامية – الكويتن ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٠٩- شرح مختصر الروضة لنجم الدين الطوفي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
١١٠- شرح نقائض جرير والفرزدق لمعمر بن المثنى، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١١١- شعب الإيمان للبيهقي، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١١٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١١٣- صحيح ابن حبان لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي البستي، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آي دمير، ط: دار ابن حزم – بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١١٤- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١١٥- الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ياسين، ط: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١١٦- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
١١٧- الضعفاء لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: فاروق حمادة ط: دار الثقافة – الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.
١١٨- الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
١١٨- العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى، رسالة دكتوراة حققه وعلق عليه وخرج نصه: د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض – جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الثانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
١٢٠- علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع لعبد الوهاب خلاف، ط: مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر».
١٢١- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
١٢٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلميه – بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١٢٣- فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
١٢٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ط: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا ـ بَيروت، ١٤١٢هـ.
١٢٥- فتح الرحمن في تفسير القرآن لمجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، ط: دار النوادر (إصدَارات وزَارة الأوقاف والشُؤُون الإِسلامِيّة – إدَارَةُ الشُؤُونِ الإِسلَامِيّةِ)، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٢٦- فتح القدير للشوكاني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

١٢٧- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٢٨- فصول البدائع في أصول الشرائع لمحمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري، تحقيق: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧هـ.

١٢٩- فصول في أصول التفسير للدكتور مساعد الطيار، ط: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٣٠- الفصول في الأصول لأبي بكر الجصاص، ط: وزارة الأوقاف الكويتية، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٣١- فصول في علم الدلالة لفريد عوض حيدر، ط: مكتبة الآداب ـ القاهرة.

١٣٢- الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر لعبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة.

١٣٣- الفوز الكبير في أصول التفسير لأحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي، ط: دار الصحوة - القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٣٤- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٣٥- القرائن وأثرها في التفسير للدكتور محمد زيلعي هندي، ط: دار كنوز إشبيليا، ط١، ١٤٣١هـ.

١٣٦- قواطع الأدلة لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

١٣٧- قواعد الترجيح لحسين الحربي، ط: دار القاسم الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
١٣٨- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٣٩- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، تحقيق: عبد الفتاح أبو سنة، ط: الكتب العلمية – بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
١٤٠- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني، ط: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.
١٤١- الكشاف للزمخشري، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣- ١٤٠٧هـ.
١٤٢- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين، عبد العزيز بن أحمد البخاري، ط: شركة الصحافة العثمانية، إسطنبول، ط١، مطبعة سنده ١٣٠٨هـ – ١٨٩٠م.
١٤٣- كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل للحداد اليمني، تحقيق: هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي، ط: دار الكتاب الثقافي الأردن – إربد، ط١، ٢٠٠٨م.
١٤٤- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٤٥- لباب التفسير للكرماني، تحقيق: أربع رسائل دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
١٤٦- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ –١٩٩٨م.
١٤٧- لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.
١٤٨- اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، ط: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٣م.

١٤٩- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت.
١٥٠- المجروحين لابن حبان البستي، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
١٥١- محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٥٣- المحصول للرازي، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، ط: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٥٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٥٥- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن محمد بدران، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ.
١٥٦- مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي البنتني، تحقيق: محمد أمين الصناوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
١٥٧- المستدرك لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
١٥٨- المستصفى لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٥٩- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٦٠- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد شاكر، ط: دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٦١- مسند البزار لأبي بكر البزار، ط: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١.
١٦٢- مسند الحارث للحارث بن أبي أسامة، ط: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
١٦٣- المشترك اللفظي في الحقل القرآني للدكتور عبد العال سالم مكرم، ط: مؤسسة الرسالة ــ بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٦م.
١٦٤- مشيخة النسائي لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق: الشريف حاتم بن عارف العوني، ط: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٦٥- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط: المكتبة العلمية – بيروت.
١٦٦- مصنف ابن أبي شيبة، ط: (دار التاج – لبنان)، (مكتبة الرشد – الرياض)، (مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة)، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١٦٧- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ.
١٦٨- معاني القرآن لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط: جامعة أم القرى – مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٦٩- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب – بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٧٠- المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
١٧١- معجم الشعراء أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، ط: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م.
١٧٢- المعجم الأوسط للطبراني، ط: دار الحرمين – القاهرة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١٧٣- المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، ط: دار الدعوة.

١٧٤- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
١٧٥- مفاتيح الغيب للرازي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣ - ١٤٢٠هـ.
١٧٦- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١ - ١٤١٢هـ.
١٧٧- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك) لأبي إسحاق الشاطبي، ط: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى - مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ.
١٧٨- منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب، ط: دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م.
١٧٩- المنخول من تعليقات الأصول لأبي حامد الغزالي، ط: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٨٠- المنهاج الواضح للبلاغة لحامد عوني، ط: المكتبة الأزهرية للتراث.
١٨١- الموافقات للشاطبي، المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان، ط: دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.
١٨٢- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١ - ١٩٩٦م.
١٨٣- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، تحقيق: عبد الكريم مجاهد، ط: الرسالة - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٦م.
١٨٤- ميزان الاعتدال لشمس الدين الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
١٨٥- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٨٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١٨٧- نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٨٨- النكت والعيون للماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
١٨٩- نهاية السول شرح منهاج الوصول لعبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشافعيّ، ط: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٩٠- نهاية الوصول في دراية الأصول لصفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي، ط: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١٩١- الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٩٢- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد عثمان، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٩٣- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي للأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، ط: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا (مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية - دولة قطر)، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
١٩٤- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
١٩٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٨٩٥
الملخص باللغة الإنجليزية	١٨٩٦
مقدمة	١٨٩٧
المبحث الأول: التعريف بالسياق والإجمال	١٩٠٣
• **المطلب الأول:** تعريف السياق، وتاريخ العناية به، وأنواعه	١٩٠٣
• **المطلب الثاني:** تعريف المجمل في اللغة والاصطلاح	١٩١٣
• **المطلب الثالث:** تعريف البيان في اللغة والاصطلاح	١٩١٦
• **المطلب الرابع:** ما يقع به بيان المجمل	١٩١٨
• **المطلب الخامس:** منزلة السياق من الطرق التي يقع بيان المجمل	١٩٢٣
المبحث الثاني: أثر السياق القرآني في بيان المجمل	١٩٢٦
• **المطلب الأول:** أثر السياق القرآني في بيان المجمل من اللفظ المفرد	١٩٢٦
• **المطلب الثاني:** أثر السياق القرآني في بيان المجمل من التركيب	١٩٦٢
الخاتمة	٢٠٠١
فهرس المصادر والمراجع	٢٠٠٣
فهرس للموضوعات	٢٠٢٠